تنبيه تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، المرجو صيانتها عن أي امتهان

قانون التيسير والتعسير في القرآن الكريم

د. محمد راتب النابلسي ص 4

تدبر الأمثال في القرآن الكريم

الشيخ الدكتود سعود الشريم ص 6

حلاوة تصحيح الانزلاقات الطينية

المفضل فلواتي رحمه الله تعالى ص 2

بسم الله الرحمن الرحيم
almahajjafes@gmail.com

المفضل فلواتي
المدير المؤسس

المحجة

العدد: 364
جامعة نصف شهرية
الثمن : 3 دراهم
المدير المسؤول : د. عبد العلي حجيج
18 شوال 1432هـ – 17 شتنبر 2011م

افتتاحية

أيها المسلمون.. أما آن الأوان لنوحد قبلتنا؟!

ص 2

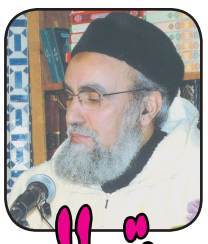

الأستاذ الدكتور الشاهد البوشيخي في موضوع:

أهمية العناية باللسان العربي في توحيد الأمة الإسلامية

يؤكد أن:

- وحدة الإيمان أساس وحدة الأوطان وليس العكس، ووحدة اللسان شرط لرصّ البنيان ووحدة الكيان
- موجبات العناية باللسان العربي كونه اللسان الجامع في الدين وفي التراث وفي الغد
- جعل اللسان العربي لغة رسمية في جميع دول منظمة المؤتمر الإسلامي ضروري لتوحيد الأمة

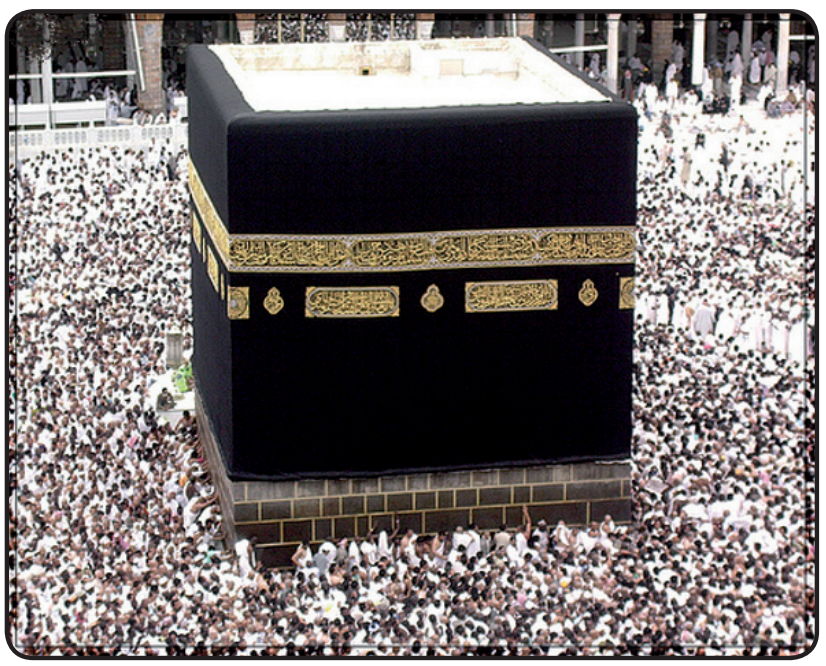

ص 8

قضايا تربوية وتعليمية

- الريادة الاجتماعية

أ.د. عبد الكريم بكار ص 12

- أزمة التربية في مجتمعنا

ذ. محمد بوهو ص 12

الدخول المدرسي بين الأمس واليوم

د. عبد الرحيم بلحاج ص 3

أيها المسلمون .. أما آن الأوان لنوحد قبلتنا؟!

قد يعجب القارئ من هذا التساؤل ويرد للتو متسائلا أيضا: كيف بك تسأل هذا السؤال؟ أليس المسلمون متوحدين في قبلتهم؟ أليس كلهم -منذ نزل الأمر بتحويل القبلة إلى اليوم- يتجهون نحو الكعبة حرسها الله جل وعلا؟ هل يوجد مشهد أعظم من مشهد المسلمين وهم يقفون صفوفا متراصة حول الكعبة المشرفة قبلتهم الوحيدة؟ وهل توجد أمة أكثر توحدا في قبلتها مثل أمة الإسلام؟

أقول لصاحبي رويدك أنا لا أقصد توحيد القبلة بالمعنى الحسي، وإن كان هذا مما يدخل في المعنى من وجه يأتي بيانه، ولكن أقصد أن يتوحد المسلمون في قبلتهم المعنوية أيضا، فما معنى أن تتوحد أجسادهم في اتجاه القبلة وقلوبهم شتى؟ ومذاهبهم لا تعد ولا تحصى؟ وما معنى أن يكونوا مسلمين، وتتعدد ولاءاتهم ورياتهم، وتتباين توجهاتهم وشعاراتهم؟

لقد كان المسلمون منذ نزل الوحي وبعث الله عز وجل محمدا بن عبد الله ﷺ نبيا ورسولا لا يدينون إلا بما أمر الله ونهى، وبما شرع وهدى، دليلهم كتاب الله وسنة رسوله، إليهما يرجعون، وبهما يحكمون، وهما قبلتهم التي إليها في كل شيء يتجهون.

لكن تطاول على الأمة عهد تحزبت أحزابا واتخذت لنفسها ألقابا، واتخذت من دون الله أربابا، ومن غير رسول الله وأصحابه أصحابا وأحبابا، وجعلت غير القرآن الكريم مصدرا وكتابا.

ففي قضايا الإيمان اتخذت كل طائفة لنفسها إماما، وبنت حوله كعبتها، وجعلت إليه وجهتها، وصنعت منه قبلتها، تقيدت برسمه، ووقفت عند فهمه، ولم تتجاوز حدود علمه، وألزمت الناس به، وبدأ اسم "المسلم" يختفي ويحل محله اللقب المذهبي، ووضعت وحدة المسلمين في اختبار عسير.

وفي مسائل الفقه والفروع بعد المسلمون عن قبلة القرآن والسنة وهداياتهما التي ربى عليها الرسول ﷺ صحابته، وبعدوا عن منهج التفقه والتعبد لله تعالى، وتوقفوا عند أفهام الرجال، فتعددت في المسلمين القبْلات، وكثرت البوصلات، وتباينت الاتجاهات، وصار لكل فرقة إمامها، باسمه يتسمون وإليه ينتسبون؛ وغاب -مرة أخرى - الاسم الذي سمانا به الله جل جلاله وارتضاه لنا : ﴿**هو سماكم المسلمين**﴾، وضعفت الوحدة بين المسلمين.

وفي باب السلوك صار للأمة طرق ومسالك توقفت عند بعض الصالحين ولم تتجاوزهم إلى النبع الأول القرآن الكريم وسنة وسيرة إمام المرسلين، وظهرت في المسلمين فتنة الانتساب لهذا الشيخ وذلك الولي والتلقب بلقبه، فمحي من المشهد مرة أخرى اسم "مسلم" وطمست روحه، وضاعت وحدة المسلمين.

بل إن تفتيت الدين إلى هذه الأبواب (عقيدة- فقه - سلوك) وجعلها جزرا معزولة لهو واحد من شر البلايا في الدين إذ انحصر فهم المسلمين للدين في الجزئيات وتبعض، فذاك يعتبر العقيدة هي الدين كله، وذلك يقف على الفروع ويعزلها عن الدين ويعدها هي الدين وهكذا، حتى أصبح الدين إما عقيدة فقط، وإما سلوكا وعملا فحسب، فوقع الفصام النكد بين العلم والعمل، وبين الإيمان والسلوك، وبين العقيدة والشريعة، فانفرط عقد الدين أو كاد، وانفرطت معه وحدة المسلمين وضاعت قبلتهم وتاهوا عنها.

وتوالت على الأمة بعد هذا التشرذم محن عظيمة وإحن جسيمة تجلت في تسليط الله تعالى عدوها عليها، فتكالبت الأمم على القصعة، وجعلت منها ألف قطعة وقطعة، وتمكن حب الدنيا من قلوب أهلها فجعلهم يباعون ويشترون كالبضاعة والسلعة، وجعل الافتتان بالغرب لكل منهم قبلة ولواء وشرعة، فتعددت المذاهب الغازية، وتنوعت الأفكار الإلحادية والعلمانية والإباحية، حتى كدت لا تجد من المسلمين إلا من يرتدي من الإسلام خرقة بالية، ويحمل أسامي خاوية، ويعتنق مذاهب طينية شرقية أو غربية، وها هنا ازداد اسم "المسلم" اختفاء روحا وشبحا، جوهرا ومظهرا، وتشرذمت الأمة إلى كيانات قطرية كقطع الغيار، وتوزعت مذاهب وأحزابا ليس بينها إلا الحديد والنار، ولا تأتمر إلا بأمر ساداتها الكبار، ولا تنتهي إلا بنهي دول الاستكبار أصحاب النفوذ والقرار.

أيها المسلمون! هل بعد هذا التعدد والتشرذم من مزيد، لمن كان يلقي السمع وهو شهيد؟ ألا من توبة وأوبة إلى الله وحده، واتباع لرسوله الخاتم وحده؟ ألم يأن الأوان أن ننزع كل اللافتات التي رانت على الأمة عبر الأعصار، وننبذ وراءنا كل التحزبات والتشيعات التي عصفت بنا وبديننا كالإعصار، ولم تخلف وراءها إلا الخراب والدمار؟ ألم يحن الوقت بعد لنتوحد على :"لا إله إلا الله محمد رسول الله"؟ وتكون قبلتنا واحدة في السياسة والقضاء والاقتصاد، وفي السلوك والاعتقاد، كما هي واحدة في الصلوات الخمس والجمع وبعض الأعياد؟

إن الأمة محتاجة اليوم أكثر من أي وقت مضى إلى استلهام مفهوم القبلة الجامع، ولمّ شملها وجمع أطرافها وأوساطها، وتوحيد ولائها لله ربها، ومحتاجة أكثر من أي وقت مضى إلى فقه مقاصد الدين في توحيد القبلة، وتوحيد شهر الصيام، وتوحيد مواقيت الحج، وتوحيد الكتاب المتعبد بتلاوته، والرسول المتعبد باتباعه.

فإذا كان مشهد المسلمين جميلا وهم يقفون صفا واحدا حول الكعبة وأمام رب الكعبة، فقيرهم إلى جانب غنيهم وحاكمهم ملتحم بمحكومهم، ولهم إمام واحد تنقاد له الأرواح والأجساد، فالأجمل أن يقفوا صفا واحدا أمام رب الأرباب ويتخلوا عن كل الأحزاب والألقاب، وأن يقف الغني إلى جانب الفقير سرا وعلنا، والقوي إلى جانب الضعيف حسا ومعنى، ويلتحم الحاكم مع المحكوم جوهرا ومظهرا، والأجمل أيضا أن تأتلف أرواحهم وإن اختلفت أشباحهم، وتتفق قلوبهم وأحوالهم وإن اختلفت صورهم وأشكالهم، ويكونوا كالبنيان المرصوص لحماية القصعة من كل المعتدين واللصوص.

نعم لقد آن الأوان لنفقه كل هذا وننتقل كل من موقعه إلى قبلتنا الواحدة في كل شيء: ﴿**إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون**﴾.

حلاوة الدّعوة إلى الله تعالى والدفاع عنها وتصحيح مَبادئها (4)

حلاوة تصحيح الانزلاقات الطينية :

المواجهة الساخنة بين العالم الرباني منذر بن سعيد والخليفة الناصر لدين الله تعالى بالأندلس

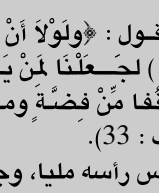

المفضل فلواتي
رحمه الله تعالى

أقبل الخليفة عبد الرحمان الناصر لدين الله تعالى على عمارة الزهراء أيَّما إقبال، وأنفق من أموال الدولة في تشييدها وزخرفتها ما أنفق، وهي في حقيقتها مجموعة من القصور الفاخرة، وكان يشرف بنفسه على شؤون البناء والزخرفة، حتى شغله ذلك ذات مرة عن شهود صلاة الجمعة، وكان منذر بن سعيد يتولى خطبة الجمعة والقضاء، ورأى خروجا من تبعة التقصير فيما أوجبه الله تعالى على العلماء، أن يُلقي على الخليفة الناصر درسا بليغا يحاسبه فيه على إسرافه وإنفاقه في مدينة الزهراء، ورأى أن يكون ذلك على ملأ من الناس في المسجد الجامع بالزهراء.

فلما كان يوم الجمعة اعتلى المنبر، والخليفة الناصر حاضر، والمسجد غاصٌّ بالمصلين، وابتدأ خطبته بقول الله تعالى : ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ. وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ. وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ. فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ. وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ. أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ. وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾(الشعراء : 128- 135).

ثم مضى في ذمِّ الإسراف على البناء بكلام جزل بليغ، ثم قال ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾(التوبة : 109).

وراح ينذر ويحذِّر ويحاسب حتى ادّكر من حضر من الناس وخَشَعُوا، وأخذ الناصر من ذلك بأوفر نصيب، وقد علم أنه المقصود فبكى، وندم على تفريطه، غير أن الخليفة لم يحتمل صَدْرُه لتلك المحاسبة العلنية، فقال شاكيا لولده الحكَم "والله تَعَمَّدني بخطبته ومَا عَنَى بها غيري، فأسرف عليَّ، وأفرط في تقْريعي، ثم استشاط غيظا وأراد أن يُعاقبَهُ لذلك".

فأقسم ألاَّ يُصَلِّيَ خلفه صَلاة الجمعة، وجعل يصلي وراء أحمد بن مطرف خطيب جامع قرطبة ولكن لما رأى ولدُه الحكَم تعلُّق والده بالزهراء والصلاة في مسجدها العظيم، قالَ له : "فما الذي يمنعُك من عَزْل منذر عن الصلاة به إذا كَرهتَه"؟

ولكن الناصر زَجَرَه وقال :

"أَمثْلُ مُنْذر بْن سعيد في فضله وخَيْرِه وعلْمه - لا أُمَّ لكَ - يُعْزَلُ لإرضاء نفْسٍ ناكبَةٍ عن الرُّشْد، سالكة غَيْر القصد؟"

"هَذا ما لا يكون، وإنِي لأسْتَحْيي ألاَّ أجعَلَ بيني وبينَهُ في صلاة الجمعة شفيعا(1) مثْلَ مُنْذر في وَرَعه، وصدْقه، ولكن أحْرجَني فأقسمتُ، ولوددتُ أنْ أجدَ سَبيلا إلى كفارة يميني بمُلْكي، بَلْ يُصَلّي منذر بالناس حياتَه وحياتَنا- إن شاء الله - فما أظُنُّ أنَّا نَعْتَاضُ منْهُ أبدا".

ولما اشتدت الفجوة بين العالم الرباني منذر بن سعيد والخليفة عبد الرحمان الناصر نتيجة محاسبة المنذر له في إسرافه على بناء الزهراء أراد ولدُه الحكَم أن يزيل ما بينهما، فاعتذر له عند الخليفة وقال : يا أمير المؤمنين، إنه رجل صالح، وما أراد إلا خيرا، ولو رأى ما أنفقتَ، وحُسْنَ تلك البِنْية لعَذَرك، ويريد بالبنية هنا القُبَّة التي بناها الناصر بالزهراء، واتخذ قراميدها من فضة، وبعضها مُغَشًّى بالذهب، وجعل سقفَها نوعين : صفراء فاقعة، إلى بيضاء ناصعة يستَلِبُ الأبصار.

فلما قال له ولدُه ذلك، أمَرَ، فَفُرشَتْ بفرش الديباج، وجلس فيها لأهل دولته.

ثم قال لقرابته ووزرائه : "أرأَيْتُمْ أمْ سَمِعْتُم ملكا كانَ قَبْلي صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُ"؟(2)

فقالوا :لا. والله يا أمير المؤمنين، "وَإِنَّكَ الاحَدُ في شَأْنكَ"(3).

فبينما همَ على ذلك إذ دخل مُنْذر بنُ سعيد ناكسا رأسه(4)، فلما أخذ مجلسه، قال له : مثل ما قال لقرابته ووزرائه : "أرأيت أم سمعت ملكا كان قبلي صنع مثل هذا؟"

فماذا كان رَدُّ العالم الرباني؟

- كان رَدُّه عمليا : أن دُمُوعَه بدأت تَنحدر على لحيته لسُوء ما رأى

- وكان رده قوليا هذه الصرخة الحارَّة بالصِّدق والنصح لله ولرسوله ولخليفته وللمؤمنين :

"والله يا أمير المؤمنين ما ظننتُ أنَّ الشيطانَ يبْلُغُ منك هذا المبلَغَ، ولا أن تمكِّنَهُ من قيادَتكَ هذا التمكُّن، معَ ما آتَاكَ اللَّهُ تعالى، وفَضَّلَكَ بِهِ على المسلمين حَتَّى يُنْزِلَكَ مَنَازِلَ الكافرينَ"

فَاقشعر الخليفة من قوله، وقال له :

انظر ما تقول، كيف أنزلني الله منازلَهُمْ؟

فقال : نعم

ألَيس الله تعالى يقول : ﴿وَلَوْلاَ أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً(5) لجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحمان لِبُيُوتِهِمْ سُقُفا مِّنْ فِضَّةٍ ومعَارِجَ عليْهَا يَظْهَرُونَ﴾(الزخرف : 33).

فوجمَ الخليفة، ونكَّس رأسه مليا، وجعلتْ دموعه تنحدر على لحيته، ثم أقبل على المنذر، وقال له : "جَزاكَ اللَّهُ خَيْرا، وعَنِ الدِّين خيرا، فالذي قُلْتَ هُوَ الحَقُّ"

ثم قام من مجلسه، وأمر بنقض سقف القبة (6).

إن الخليفة عبد الرحمان الناصر هو أعظم خليفة أموي بالأندلس، فقد وصلت الدولة الأموية في عهده هناك إلى أوج ازدهارها، وكانت ملوك النصارى تأتيه من أغلب دول أوروبا متوددة له نظرا لجهاده وجده في الفتح، وهو أول من سمى نفسه خليفة بالأندلس بعدما سمَّى الفاطميون أنفسهم خلفاء، وكان للمسلمين خليفة واحد، وقد بنى مدينة الزهراء، وشيد بها قصره ليكون عنوان عظمته، ولكن التفكير في جعل العظمة تقاس بالقصور والأطيان، وليس بالتفكير في جعل الدولة دولة الدعوة، فيُنظم اقتصادها وجيشها، وإدارتها، وسياستها، واختيار رجالاتها وقضاتها وولاتها وولاة العهد، وقواد الجيش، واختيار نساء القصر، والندماء ومراكز العلم والبحث، والدعوة على أساس إعلاء كلمة الله تعالى فقط.. إلى غير ذلك من مراكز قوة دولة الدعوة عدمُ التفكير في جَعْلِ

تتمة : ص 5

جريدة المحجة
■ المدير المؤسس : ذ. المفضل فلواتي
■ المدير المسؤول : د. عبد العلي حجيج
■ مسؤول الإخراج : رشيد صدقي
الموقع الإلكتروني : www.almahajja.net
عنوان المراسلة : حي عز الله، زنقة 2 رقم 3- فاس -المغرب
الهاتف : 931113 (0535)
الإيداع القانوني : 1994- 61
رقم الصحافة : 11/ 91
الترقيم الدولي : 3627- 1113
الطبع : إكو برانت - البيضاء
التوزيع : سابريس

محطات إخبارية - محطات إخبارية - محطات إخبارية

مؤتمر للعلماء بغزة يهدف للنهوض بواقع الأمة الإسلامية

تستعد جمعية القدس للبحوث والدراسات الإسلامية، لعقد مؤتمرها الثالث والذي يحمل عنوان "العلماء واقع وآمال"، برعاية رئيس الوزراء الفلسطيني إسماعيل هنية، والذي يهدف إلى تجديد وعي الأمة بدورها ومسؤوليتها نحو علمائها، والتأكيد على التوازن بين الحقوق والواجبات بين العلماء والأمة، وستنطلق فعالياته في 9/26 من العام الجاري.

وأوضح رئيس اللجنة التحضيرية للمؤتمر الدكتور ماهر أحمد السوسي، في حديث خاص لـ"المركز الفلسطيني للإعلام" أن المؤتمر سيتضمن ستةَ محاور سيتم خلالها عرض ثلاثين بحثاً محكماً من داخل فلسطين.

وأشار إلى أن المحاور تتضمن عرض واقع العلماء المعاصر، والعلماء تميزًا وإبداعًا، و دور العلماء في نهضة الأمة، والعلماء والحكام (حقوق وواجبات)، والعلماء والعمل الإسلامي، والعلماء وقضايا الأمة.

وبيّن أن أبحاث المؤتمر تتجه إلى تقييم أوضاع العلماء المعاصرة، وبيان علاقتهم بالحكام وحقوق وواجبات كل منهم، ثم شروط تميز العلماء، ثم رؤية الباحثين في كيفية معالجة العلماء لقضايا الأمة، ثم ما هو المأمول من العلماء، والدور المنوط بهم في قيادة الأمة.

● المركز الفلسطيني للإعلام

الإسلاميون يتقدمون في استطلاعات الرأي قام به معهد سيغما التونسي

أظهر استطلاع للرأي قام به معهد سيغما التونسي أن أكثر من ثلث التونسيين لا يزالون مترددين بالنسبة إلى الجهة التي سيصوتون لها في انتخابات المجلس التأسيسي في 23 أكتوبر المقبل، لكن أفاد أيضا بأن إسلاميي حركة النهضة يتقدمون في نوايا التصويت على منافسيهم بـ22,8٪.

وجاء في الاستطلاع الذي أجري بين السادس والتاسع من سبتمبر أن 32,1٪ من الناخبين مترددون، علما بأن الساحة السياسية في تونس تضم 105 أحزاب منذ الإطاحة بالرئيس السابق زين العابدين بن علي في 14 يناير الماضي.

وحلت حركة النهضة الإسلامية -التي يقودها الشيخ راشد الغنوشي والقريبة من الإخوان المسلمين- في الطليعة لجهة نوايا التصويت بنسبة 22,8٪ يليها الحزب الديمقراطي التقدمي (وسط) بـ10,9٪.

وحصل حزب التكتل اليساري بزعامة مصطفى بن جعفر على 9,2٪ من نوايا التصويت فيما حصل المؤتمر من أجل الجمهورية بزعامة منصف المرزوقي على 4,5٪.

وجاء نشر نتائج هذا الاستطلاع في تونس عشية تطبيق قرار حظر الاستطلاعات السياسية في هذا البلد اعتبارا من اليوم 12 سبتمبر.

وشمل استطلاع سيغما عينة تمثيلية من 2513 شخصا في مختلف الدوائر الانتخابية في البلاد البالغ عددها 27 دائرة.

طالبان تفتح مقرا في قطر بموافقة أمريكية

كشفت صحيفة (التايمز)، أنّ الولايات المتحدة صادقت على خطط تسمح لحركة طالبان الأفغانية بافتتاح مقرّ سياسيٍّ لها في قطر قبل نهاية العام الحالي. بأمل أن تساعد في تسهيل محادثات سلام يمكن أن تؤدّي إلى هدنة مع طالبان، بعد أن حظيت بدعم زعيم الحركة الملا عمر.

وقالت الصحيفة البريطانية: إنّ هذا التحرك يمثّل خطوة حاسمة على طريق المصالحة مع مرور الذكرى العاشرة لهجمات الحادي عشر من سبتمبر 2001 في واشنطن ونيويورك.

وأضافت: "الخطوة جرى ابتكارها لتمكين الغرب من بدء محادثات سلام رسمية مع طالبان بأمل التوصل إلى اتفاق لإنهاء الحرب الدائرة في أفغانستان منذ 10 سنوات".

● الإسلام اليوم/ وكالات

الدكتور يوسف القرضاوي : حكم العلمانيون وجاء دور الإسلام

صرح الدكتور يوسف القرضاوي رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، بأن ما يحدث في البلاد العربية هو طبيعي وجزء من صحوة إسلامية .. وتساءل قائلا: من كان يظن أن تقوم هذه الصحوة بعد أن غربت شمس الإسلام؟".

وشدد القرضاوي، في لقائه مع وفد من شباب حزب الوسط بمنزله، بأنه بعد أن حكم الليبراليون والعلمانيون، جاء الدور حاليا على الإسلاميين حيث قال: "إن الإسلاميين يجب أن يعلموا العالم كيف تكون قيادة الدنيا من جديد، ومصر الآن مؤهلة لأن تقود الأمة الإسلامية"، مضيفا: "لكل زمان دولة ورجال.. والليبراليون والعلمانيون أخذوا زمانهم وهذا هو زماننا، وزمان الإسلاميين لا يكون بالفهلوة والكذب إنما يكون بالعمل والعلم والتعب والكد".

الشباب المغربي والتدين

أفادت دراستان للمركز المغربي للدراسات والأبحاث المعاصرة أن :

94,5٪ من الشباب المغربي يثقون في دور القرآن، و71٪ منهم يعتبرون الدين يمتلك حلولا اقتصادية لمشاكل اليوم، و96٪ منهم ضد الإفطار العلني في رمضان.

● (التجديد ع 2011/9/4)

مغاربة صغار يتألقون عالميا في تجويد القرآن الكريم

حصل الطفل المغربي عبد الباسط عبد الفتاح وراش على الجائزة الكبرى لقناة الجزيرة للأطفال ضمن مسابقة "القارئ الصغير" العلمية لتلاوة القرآن الكريم يوم الجمعة **25** رمضان **1432**ه. وتقدم الطفل المغربي على منافسيه اليمني أمجد يحيى ناصر فيما احتلت المرتبة الثالثة الطفلة الماليزية نور الشهامة تقية نجمة. وتعتمد القناة الإنترنت في استقبال المشاركات وإجراء التصفيات بغية إشراك أكبر عدد ممكن من الأطفال.

وتوج الطفل عبد الباسط بالجائزة الأولى البالغة حوالي 200 ألف درهم .

هل هي بوادر انشقاقات قد تعصف بعلاقة المجلس الانتقالي مع الثوار في ليبيا؟!

أفادت تصريحات الدكتور علي الصلابي- وهو معارض ليبي مقيم في قطر وعضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين- للجزيرة وجود مخاوف من هيمنة تيار الليبراليين والعلمانيين على الثورة وإقصاء الثوار من المشاركة السياسية في ليبيا ما بعد نظام القدافي وأشار بأصابع الاتهام إلى رئيس المكتب التنفيذي في المجلس الوطني الانتقالي الليبي محمود جبريل وقال إن عليه أن يقدم استقالته، ويترك الليبيين و"القوى الوطنية الحقيقية" يبنون مستقبل بلادهم.

وأضاف الصلابي إن جبريل ليس عليه إجماع في الشارع الليبي، وأن غالبية الليبيين يرفضونه ويرفضون من يدورون في فلكه، وأضاف أنه "لو سمح الليبيون لجبريل -والذين معه- بأن يمارس عقليته لوقعنا في عصر جديد من الاستبداد والدكتاتورية"، وأضاف أن "الليبيين لن يسمحوا بعصر جديد من الدكتاتورية بعد أن قدمت ثورتهم خمسين ألف شهيد".

وتابع الصلابي "لن يسمح الليبيون لأحد بعد اليوم بأن يتكالب على ثروتهم، أو يطمس هويتهم، أو يحاربهم في دينهم"، مضيفا أن "هناك حربا منظمة من بعض أعضاء المكتب التنفيذي مثل محمود شمام ومحمود جبريل وعلي الترهوني وناجي بركات وعبد الرحمان شلقم، الذين يسعون لتغييب الوطنيين والثوار الحقيقيين"، واعتبر أنه "لما بدأت الحقائق تظهر في الساحة تخوف محمود جبريل وانزعج"، مضيفا أن ليبيا "دخلت في عهد جديد وعهد ديمقراطي نؤمن فيه بالنقد وبالحرية، ونؤمن بحق الآخرين في أن ينقدونا، كما أننا نحن أيضا من حقنا أن ننقد ونتحدث ونتكلم، ولن نسمح لقلة قليلة من المتطرفين العلمانيين بأن يُدخلوا ليبيا في نفق جديد أسوأ من الذي أدخلنا فيه القذافي منذ أربعين عاما".

وزاد الصلابي أن "جبريل مع قلة قليلة أخرى، مجموعة متحدة يريدون أن يفصلوا لليبيين ملابس خاصة على المقاس الذي يرونه، وأرادوا أن يأتوا بأناس على شاكلتهم ليسيّروا شؤون الليبيين في مجالات الأمن والجيش، وفي مجال الطاقة والنفط، وفي الطب والصحة، وفي عموم الإدارات، للسيطرة والهيمنة، ولم يشاوروا القوى الوطنية الفاعلة التي دفعت الغالي والنفيس من أجل الحرية"، كما اتهم الصلابي "جبريل ومن معه" بأنهم "أناس مرضى بالاستبداد والدكتاتورية والإقصاء، وينظرون إلى ما يحدث في ليبيا على أنه صفقة العمر، ويسعون لسرقة ثروات الليبيين وثورة الشعب الليبي".

● أندلس برس ووكالات.

ألم قلم

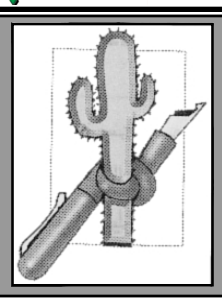

الدخول المدرسي بين الأمس واليوم

ليس حنيناً إلى الماضي، ولا اختباءً فيه، ولا تفضيلا له على واقعنا الحاضر، ولكن من حق أي شخص أن يقارن بين الماضي وحصيلته وبين الواقع الحاضر ونتائجه، أو على الأقل توقعاته، حتى ولو كانت المقارنة شكلية... خاصة بالنسبة للجيل الذي ولد بعد الاستقلال، وما زال لحد الآن يعايش محنة التعليم أو يتابع قضاياه...

من منا من أبْناءِ هذا الجيل لا يذْكُر أن زادَنا من الكتب، في ذلك الوقتِ كان لا يزيد عن كتابين : كتاب للعربية وآخر للفرنسية، وأما الدفاتر فكان أيضا في أحسن الأحوال دفتران، واحد لما يُكتب بالعربية والآخر لما يكتب بالفرنسية.

وربما داخل الدفتَر الواحد كتاباتٌ بالعربية والفرنسية.. فما زلت أذكر جداً وأنا في المرحلة الابتدائية أنه كان لي دفتر لما يكتب بالفرنسية، الذي يتضمن دروس اللغة الفرنسية ودروسا أخرى أذكر منها مادة الطبيعيات التي كنا ندرسها بالفرنسية. وما زلت أذكر أن المدرس بدأ لنا شرح درس حول "الملح" لكن لم يَبْقَ لنا وقت لكتابة الدرس ووضعنا العنوان فقط بالفرسية "le sel" على أساس أن يكتب الدرس بعد عطلة كانت آنذاك، وبعد العودة، قال لنا المدرس إن المادة قد عُربت، فكتبنا تحت العنوان السابق بالفرنسية عنوانا جديداً بالعربية، ثم كتبنا الدرس بالعربية، هكذا بكل بساطة.

ومن منا من أبناء هذا الجيل لا يتذكر أيضا أن ذلك الكتابين كانا كالخالِدَيْن، يتوارثُهما الأخ الأصغر عن الأكبر، ويتوارثهما بعد ذلك الأقرباء والجيران، إلى أن يهترئ بشكل كامل ويتعذر حمله.

أما الأقلام فلم نكد نعرف فوق الريشة شيئا كبيراً، إذ كان حمل أقلام من غير الريشة ومن غير قلم الرصاص ترفاً وكماليات ويدور الزمان دورته، لنرى تلاميذ هذا الجيل، يحملون من كل الأشكال والألوان والأحجام، من الكتب والدفاتر والأقلام والمحافظ، وما يصلح في هذه المدرسة قد لا يصلح في أخرى وما يكون مقرراً هذه السنة، قد لا يتكرّر مرة أخرى وإلى الأبد.

والكل يعتبر أن هذا من نتائج تطور المناهج الحديثة، والتقنيات التربوية التي تخدم التربية والتعليم والمستقبل الواعد.

حتى الأساتذة لم يعد الاكتفاء بمدرس المادة مُجْديا داخل المؤسسة الرسمية، حيث لابد من البحث عن مدرس آخر ليكمل نقص المدرِّس السابق، أو البحث عن ذلك المدرس بالذات في بيته حتى يوضح ما تركه غامضاً في القسم...

ووراء كل هذا حركة تجارية ضخمة، تكون غير بريئة في كثير من الأحيان، والأب المسكين هو الضحية دائما، إذ هو الذي لابد له أن يؤدي الثمن، وقد يلحق به ضحايا آخرون من الأبناء الذين لا يقدّرون هذه الظروف حق قدرها. وتلك هي الكارثة.

هذا عرض سطحي لمشاهد سطحية من تعليمنا لأيام زمان ولأيامنا هذه، ولرب سائل يسأل :

هل كان التعليم في ذلك الوقت مع قلة الوسائل والإمكانات أقل عطاء، أو إنتاجاً مما هو واقع في عصرنا الحاضر مع تعدد الإمكانات والوسائل أم العكس؟

قد يكون الجواب حاضراً لدى البعض وقد يحتاج إلى تأمل لدى البعض الآخر، لكن في كل الأحوال أقول : إن إنجاز دراسة ميدانية علمية حقيقية في هذا الباب ستؤدي إلى الكشف عن حقائق ربما تكون صادمة، بدءًا بالدخول المدرسي وانتهاءً بالنتائج المحصل عليها.

د. عبد الرحيم بلحاج

قوانين القرآن الكريم 19

لخبير الجمال الدعوي الدكتور محمد راتب النابلسي

قانون التيسير والتعسير

العطاء مع التقوى

مزرع اليسرى دنيا وأخرى

... لازلنا في قوانين القرآن الكريم، والقانون اليوم قانون التيسير والتعسير، ولا شك أن التيسير شيء محبب جدا للنفس البشرية، ولا يؤلمها، ولا يردها كالتعسير، فلذلك من أدعية النبي عليه الصلاة والسلام "اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا" ولكن هذا التيسير الذي يكون تارة، وذاك التعسير الذي يكون تارة أخرى، أليس له قانون، أي علاقة ثابتة في القرآن الكريم كي نتعامل مع هذا القانون، فنقطف ثمار التيسير ونبتعد عن نتائج التعسير؟

... هذا القانون إنه قوله تعالى : ﴿والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى وما خلق الذكر والأنثى إن سعيكم لشتى فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى﴾(الليل : 1- 10) هاتان الآيتان هما قانون التيسير والتعسير، وأي فهم آخر، وأي وهم آخر، وأي تصور آخر، فهو باطل لا أصل له. العوام لهم كلمات كثيرة في أسباب التعسير أو التيسير، مثلا في التعسير "هذا الإنسان ما له حظ" ما معنى الحظ؟ "هذا الإنسان قلب له الدهر ظهر المجن" ما الدهر؟ "هذا الإنسان القدر يسخر منه" هذه الكلمات التي لا معنى لها، ولا تستند إلى حقيقة، تلغيها هذه الآية الكريمة والتي تلي بعدها ﴿فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى﴾(الليل : 5- 6) ما الحسنى؟ هي الجنة ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾(يونس :26) الحسنى هي الجنة، فالذي صدق أنه مخلوق للجنة، وأن الله سبحانه وتعالى جاء به إلى الدنيا ليتعرف إليه، وليتعرف.. وليطبق منهجه، وليتقرب إليه، عندئذ يستحق جنة عرضها السموات والأرض إلى أبد الآبدين، **فالإنسان الذي آمن أنه مخلوق للجنة ماذا يفعل؟ قال ﴿فأما من أعطى واتقى﴾(الليل : 5) يتقي أن يعصي الله، أولى خصائص هذا الإنسان الذي آمن بالحسنى، أنه يتقي أن يعصي الله خوفا من أن يغيب عن هذا الهدف الكبير. والخصيصة الثانية له "فأما من أعطى" بنى حياته على العطاء.. يسعده أن يعطي، يرى الفوز والنجاح في العطاء، فلذلك من خصائص المؤمن الكبرى أنه يعيش ليعطي، يعطي من ماله، يعطي من علمه، من وقته،** من جاهه قال تعالى : ﴿ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾(البقرة : 1- 2) أي شيء آتاه الله لهذا المؤمن ينفقه في سبيل الله، بل إن الله سبحانه وتعالى يقول ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة﴾(القصص : 77) يعني **الذي آمن أنه مخلوق للجنة، فاتقى أن يعصي الله أي استقام على أمره، وبنى حياته على العمل الصالح، هذا حقق الهدف من وجوده، حقق الهدف الكبير الذي خلق الإنسان من أجله، فلذلك يستحق مكافأة لا تقدر بثمن، إنها التيسير**، أموره ميسرة، زواجه ميسر، عمله ميسر،مكانته عند الناس كبيرة، الله عز وجل يحفظ له صحته، يحفظ له أهله، يحفظ له أولاده، يدافع عنه، يلهمه الخير ﴿فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى﴾(الليل : 5- 7) وقد خلق الإنسان لليسرى "كل ميسر لما خلق له" أنت خلقت للسعادة ﴿إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم﴾(هود : 119) هذا هو قانون التيسير، أما كلمات "الدهر قلب له ظهر المجن" "القدر يسخر منه" "هذا الإنسان ليس له حظ" هذا شيء يتناقض مع هذا القانون الرائع الذي جاء في القرآن الكريم ﴿فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى﴾(الليل : 5- 7) سم هذا التيسير التوفيق، سم هذا التيسير النصر، سم هذا التيسير التأييد، سم هذا التيسير الحفظ، هذا كله يصب في خانة واحدة أن الله سبحانه وتعالى

هذا القانون إنه قوله تعالى :﴿والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى وما خلق الذكر والأنثى إن سعيكم لشتى فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى﴾(الليل : 1- 10)

يقول : ﴿ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم﴾(النساء : 146).

الإمساك تعلقا بالدنيا

حرث العسرى دنيا وأخرى

أما التعسير، أما الإحباط، أما الضياع، أما السوداوية، أما التشاؤم، فتأتي من قانون التعسير قال تعالى : ﴿وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى﴾(الليل : 8- 9) كفر بالآخرة، آمن بالدنيا، والدنيا قوامها المال، فالمال كل شيء، فكسب المال من حلال أو حرام، ولم يعبأ بطريقة كسبه، وأنفقه على ملذاته، لأنه آمن بالدنيا ولم يؤمن بالآخرة، ولم ينقل اهتماماته إلى الدار الآخرة، أبقاها في الدنيا، الآن من أجل أن يستمتع بالحياة في أعلى درجة لابد من أن يعتدي على حقوق الآخرين ﴿وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون﴾(المؤمنون: 74) ﴿فأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى﴾(الليل : 8- 9) كذب بالجنة وأيقن بالدنيا فاستغنى عن طاعة الله، لم يطع الله عز وجل؟ هو يريد الدنيا، يريد متعها، مباهجها، استغنى عن طاعة الله وبنى حياته على الأخذ، هذا مقياس دقيق، اسأل نفسك هذا السؤال المحرج ما الذي يسعدك؟ أن تعطي أم أن تأخذ؟

إذا كان يسعدك أن تعطي فأنت من أهل الآخرة، أما إذا كان يسعدك أن تأخذ دائما فأنت من أهل الدنيا. فالإنسان حينما يكفر بالآخرة ويؤمن بالدنيا، وبالمناسبة.. ليس شرطا أن تنطق بلسانك أنك لا تؤمن بالآخرة، أحيانا لغة العمل أبلغ من لغة القول، أنت حينما تنكب على الدنيا لتأخذ الأموال الطائلة بطريق غير مشروع، حينما تبني مجدك على أنقاض الآخرين، حينما تبني حياتك على موتهم، حينما تبني عزك على ذلهم، حينما تبني غناك على فقرهم، حينما تبني أمنك على قلقهم، أنت بهذا لم تعبأ بمنهج الله، ولم تؤمن بالآخرة، بل لم تؤمن بحدود الله ﴿وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى﴾(الليل : 8- 10).

لذلك هذا **الإنسان الذي كذب بالحسنى وآمن بالدنيا واستغنى عن طاعة الله، وبنى حياته على الأخذ بشكل مشروع أو غير مشروع، هذا الإنسان يستحق التعسير لا التيسير**، لذلك هذا الذي يندب حظه تارة، ويندب ظروفه تارة أخرى، ليؤمن إيمانا دقيقا أنه يدفع ثمن تفلته من منهج الله، ويدفع ثمن بعده عن الدار الآخرة.

القانون بين التفسير التوحيدي والتفسير الشركي

... كل شيء وقع أراده الله، وكل شيء أراده الله وقع، وإرادة الله متعلقة بالحكمة المطلقة، والحكمة المطلقة متعلقة بالخير المطلق، الإنسان أحيانا يرفض التفسير التوحيدي لما يصيبه، يرفض تفسير السماء، بل يقبل تفسير الأرض الشركي، لكن حينما يقع في مشكلة ويقرأ قوله تعالى : ﴿وما أصابكم من مصيبة بما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير﴾(الشورى : 28) والله سبحانه وتعالى غني عن تعذيبنا لقوله تعالى : ﴿ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما﴾(النساء : 146) بل إن الله سبحانه وتعالى ينتظر منا أنه إذا ساق لنا مصيبة أن نصحو من غفلتنا، وأن نعود إلى ربنا ﴿وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانو يكسبون﴾(الأنعام : 129) **والظالم سوط الله ينتقم به ثم ينتقم منه**، وقد ورد في الأثر القدسي «أنا ملك الملوك ومالك الملوك، قلوب الملوك بيدي، فإن العباد أطاعوني حولت قلوب ملوكهم عليهم بالرأفة والرحمة، وإن هم عصوني حولتها عليهم بالسخطة والنقمة، فلا تشغلوا أنفسكم بسب الملوك وادعوا لهم بالصلاح فإن صلاحهم بصلاحكم».

... قانون التيسير والتعسير مهم جدا لحياة المؤمن، و.. لو أن الإنسان وقع في مشكلة، آية واحدة تحل له كل مشكلاته قال تعالى : ﴿ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا﴾(الطلاق : 4) **يكفي أن تتقي الله وأن تصطلح معه، وأن تعود إليه وأن تعمل الصالحات تقربا إليه، عندئذ تقطف ثمار هذه العبودية تيسيرا لأمورك وحلا لمشكلاتك،** والله عز وجل ينتظرنا بل إن الذي نذوقه من العذاب الأدنى من أجل ألا نصل إلى العذاب الأكبر قال تعالى : ﴿ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر لعلهم يرجعون﴾(السجدة : 21) وحينما يفهم المؤمن عن ربه سر هذه التصرفات وتلك الشدائد ينجو من عذاب الدنيا ومن عذاب الآخرة. وإلى لقاء آخر إن شاء الله تعالى..

مواقف وأحوال

قوم إذا ذكر عندهم النبي ﷺ بكوا

جماع الخير تعظيمك لمعلم الناس الخير، فما حظك أنت من ذلك؟ ما مقدار تعظيمك لنبيك وحبيبك ﷺ؟ إن سر نجاحك فرداً في توقيره وإجلاله، وسر نجاحنا أمة في ذلك، ولقد أمر ربنا بذلك في مواطن من كتابه الكريم منها قوله تعالى ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا﴾ ومنه ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبيء﴾ **قال القاضي أبو الفضل عياض رحمه الله «واعلم أن حرمة النبي ﷺ بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازم كما كان حال حياته وذلك عند ذكره ﷺ وذكر حديثه وسنته وسماع اسمه وسيرته ومعاملة آله وعترته وتعظيم أهل بيته وصحابته، قال أبو إبراهيم التجيبي : واجب على كل مؤمن متى ذكره أو ذكر عنده أن يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته، ويأخذ في هيبته وإجلاله بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين يديه ويتادب بما أدبنا الله به»**(الشفا 26/2).

وها أناذا أذكر نفسي وأذكرك بمواقف جماعة من العلماء، وجملة من الفضلاء كلما ذكر النبي ﷺ بين أيديهم، لعل فيها عوناً لي ولك على الزيادة في تعظيمه وتوقيره عليه الصلاة والسلام.

1- موقف أيوب السختياني وحاله : قال مالك رحمه الله -وقد ذكر عنده أيوب السختياني رحمه الله : ما حدثتكم عن أحد إلا وأيوب أفضل منه، قال وحج حجتين، وكنت أرمقه ولا أسمع منه، غير أنه كان إذا ذكر النبي ﷺ بكى حتى أرحمه، فلما رأيت منه ما رأيت وإجلاله للنبي ﷺ كتبت عنه.

2- حال مالك بن أنس رحمه الله : قال مصعب بن عبد الله : كان مالك إذا ذكر النبي ﷺ يتغير لونه وينحني حتى يصعب ذلك على جلسائه.

3- حال محمد بن المنكدر : قال مالك رحمه الله : لقد كنت أرى محمد بن المنكدر وكان سيد القراء لا نكاد نسأله عن حديث أبدا إلا يبكي حتى نرحمه.

4- حال جعفر بن محمد : قال مالك رحمه الله: ولقد كنت أرى جعفر بن محمد وكان كثير الرعاية والتبسم، فإذا ذكر عنده النبي ﷺ اصفر، وما رأيته يحدث عن رسول الله ﷺ إلا على طهارة.

5- حال عبد الرحمن بن القاسم رحمه الله : قال عياض : ولقد كان عبد الرحمن بن القاسم يذكر النبي ﷺ فيُنظَر إلى لونه كأنه نزف منه الدم، وقد جف لسانه في فمِه هيبة منه لرسول الله ﷺ.

6- حال عامر بن عبد الله بن الزبير رحمه الله: قال : ولقد كنت آتي عامر بن عبد الله بن الزبير فإذا ذكر عنده النبي بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع.

7- حال الزهري رحمه الله : قال : ولقد رأيت الزهري وكان من أهنأ الناس وأقربهم فإذا ذكر عنده النبي ﷺ فكأنه ما عرفك ولا عرفته.

8- حال صفوان بن سليم رحمه الله :

قال : ولقد كنت آتي صفوان بن سليم وكان من المتعبدين المجتهدين فإذا ذكر النبي ﷺ بكى فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه(1).

هذه عينة من رجال عظموا قدر النبي ﷺ فعظم الله قدرهم، فما حظك أنت وما نصيبك؟

1- انظر ذلك كله في الشفاء 26/2- 27.

ذ. امحمد العمراوي
من علماء القرويين
amraui@yahoo.fr

ومضات حديثية (1)

عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : «حدثنا رسول الله ﷺ، وهو الصادق المصدوق، قال: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك فيرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات، بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد، فوالله الذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها».

ذ. لخضر بوعلي

تقديم

هذا الحديث يتضمن قضايا متعددة ومتكاملة أذكر منها:

أنه جمع بين:

× الغيب المطلق والغيب النسبي
× الحقائق العلمية والحقائق الغيبية
× المادي والروحي
× المطلوب شرعا والمطلوب طبعا
× العام الشامل الذي لا يستثنى منه أحد والاستثناء
× الخوف والرجاء

وغير ذلك مما يمكن للقارئ الكريم أن يستنبطه بالتأمل ..

والجمع بين هذه المتقابلات في موضوع واحد وبالدقة اللازمة لا يتيسر إلا لمن: "لا ينطق عن الهوى" ﷺ.

إن استفتاح الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بعبارة : «حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق» يوحي بأن الرجل، وهو خبير بالوحي ومعانيه، توقع أن يجد بعض المسلمين -ضعاف الإيمان وذوي الأفق المحدود في العلم الشرعي- صعوبة كبيرة في فهم هذا الحديث وما يحمله من المعاني الكبيرة، ولذلك بدأ هذا الحديث بهذه العبارة النادرة في الحديث النبوي الشريف والتي من شأنها أن تقطع الطريق أمام ما يمكن أن يلقيه الشيطان من الريب في نفوس بعض المسلمين لأن هذه العبارة تذكر القارئ لهذا االحديث بصفة الصدق الواجبة في حق جميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وفي سيدهم من باب الأولى.

الغيب المطلق والغيب النسبي

الغيب هو كل ما غاب عن حواس الإنسان أو عن إدراكه سواء حجبه عنه حجاب الزمن أو المكان أو قصُر عنه علمه.

ومنه ما هو نسبي يغيب عن بعض ولا يغيب عن بعض آخر أو يغيب عن أهل زمن ولا يغيب عن غيرهم (ولو كان في الماضي) ولذلك قال عن أخبار الأمم السابقة : ﴿تلك من انباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا﴾.

ومنه ما هو غيب مطلق لا يعلمه إلا علام الغيوب وقد أخبرنا سبحانه بالكثير من جزئياته فآمن به من آمن وكفر به من كفر. ومن ذلك حقائق البعث والنشور والحساب والجزاء وغير ذلك مما يقع في ذلك اليوم العظيم..

والغيب بنوعيه النسبي والمطلق أشار إليهما قوله تعالى : ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾. فتحقُّقُ وتأويل الغيب النسبي، المعبر عنه بالإراءة، دليل على تحقق الغيب المطلق لأنهما كانا غيبا في لحظة من اللحظات والذي أخبرنا بهما واحد، فإذا صدق في كل جزئيات الأول، وجب عقلا أن يكون صادقا في كل جزئيات الثاني وإلا فكيف نصدقه في هذا ولا نصدقه في الآخر.

يتجلى هذا الجمع بين الغيب المطلق والغيب النسبي في هذا الحديث من خلال إخبار النبي ﷺ عن حقائق علمية تتعلق بالأتراب التي يتقلب فيها تكوين الإنسان وانتقاله من نطفة إلى علقة إلى مضغة، وتحديد المدة الزمنية لكل مرحلة، وهي حقائق ثبتت علميا بالدقة المنصوص عليها في هذا الحديث وقد كانت غيبا عاما لا علم لأحد بها عندما نطق الصادق المصدوق بخبرها.

إن تصديق الزمن لكلام رسول الله ﷺ عن هذا الأمر تطلب قرونا متطاولة لم يكن للمؤمنين فيها إلا قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : «...وهو الصادق المصدوق» وقول أبي بكر الصديق رضي الله عنه : «إن كان قال فقد صدق».

لكن الغيب الذي أخبر به النبي ﷺ أصبح حقيقة، فما موقف الناس منها؟ هل يصدقونها ؟ بالطبع، لا أحد أصبح الآن ينكرها .

وما موقف الناس مما في هذا الحديث من الغيب الذي لا يزال غيبا؟ هل يصدقونه أم ينظرون تأويله؟

فإن كذبوه، وهو أمر وارد، فكيف يصدقونه في هذا ويكذبونه في غيره؟ : ﴿هل ينظرون إلا تاويله يوم ياتي تاويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل...﴾.

المادي والروحي

من روائع هذا الحديث أن جمع بين الحديث عن أمور مادية و أمور روحية ويتجلى ذلك من خلال:

- تفاصيل مراحل تكوين جسم الإنسان والإخبار عن الملك ونفخ الروح والأجل والخاتمة (نسأل الله الكريم حسنها)...
- تفاصيل مهمة الملك وهو مأمور بكتب الرزق والعمل، وهي أمور مادية، وكتب الأجل والخاتمة بالإضافة إلى نفخ الروح وهي أمور روحية غيبية.

إن الجمع بين المادي والغيبي في الكلام أسلوب من أساليب الوحي الحريص على إقناع الناس وهدايتهم و إقامة الحجة على المعاندين منهم : ﴿رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾.

ومن الأمثلة على ذلك أنه في ليلة الإسراء والمعراج - باعتبارهما من أبرز المعجزات- جمع الله تعالى فيهما لرسوله الكريم ﷺ بين المادي والغيبي.

وهو جمع اقتضته حكمة الحكيم سبحانه لأن الإسراء فيه جوانب مادية يمكن لرسول الله ﷺ أن يعطي الدليل عليها لأنها كانت إلى مكان في الأرض قد زاره الكثير منهم في رحلة الشتاء والصيف وبإمكانهم أن يختبروه بأسئلة عن المسجد الأقصى ومكوناته وعن قوافلهم التي ذهبت إليه ولم تعد بعد. وهو ما وقع فعلا، وجاءت أجوبة الصادق المصدوق مطابقة للواقع تماما .

وهذا لا يتيسر في حديث الحبيب ﷺ عن المعراج لعدم وجود من رآه .

وصدقه ﷺ في خبر الإسراء دليل على صدقه في خبر المعراج.

المسؤولية والقدر

أشار الحديث إلى ما سبق تقديره من الخبير البصير لكل واحد من عباده وما كتب لهم من الأرزاق والآجال والأعمال والخواتم .

وموضوع القدر من القضايا العقدية التي أفاض فيها المتكلمون وخلاصة مذهب أهل الحق في المسالة أن العليم قدّر كل شيء وجعل الإنسان بعقله واختياره وقدرته مسؤولا عما يصدر عنه.

وإذا كان بعض الناس يريدون، ظلما وزورا، أن يتذرعوا بالقدر ليطلقوا العنان لأهوائهم ويتركوا العمل الذي أوجبه الله تعالى عليهم، فإن هذا الحديث، بطريقة رائعة، يردّ هذا الأسلوب ويجعل صاحبه متناقضا مع نفسه.

إن الله تبارك وتعالى قد أرسل الملك للجنين وأمره بكتب رزقه وأجله وعمله... وإذا كان هناك من يترك العمل الصالح والاستعداد للآخرة بدافع الإيمان بالقدر فلماذا لا يترك طلب الرزق بنفس الدافع؟ ولماذا لا يكتفي فيه بما كتب الله له؟ بل لماذا يطلبه حتى بالحرام؟... : ﴿بل الانسان على نفسه بصيرة ولو القى معاذيره﴾.

القاعدة والاستثناء

أشار الحديث إلى مسألة من أخطر المسائل وهي مصير الإنسان وخاتمته.

من جهة قد سبق بها القلم وكتبت لكل واحد وهو في رحم أمه.

ومن جهة أخرى فهي مرتبطة بالعمل الذي يكسبه العبد ويرتهن به.

الأصل أن العبد المؤمن الذي يلتزم منهج الإسلام ويداوم على العمل الصالح يكون مصيره الجنة بإذن الله ورحمته، وأن النار مصير الذي يتنكب الصراط ويخوض في الدنيا كما تخوض الوحوش في البرية : ﴿يثبّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء﴾.

إلا أن حكمة الحكيم اقتضت أن يكون هناك استثناء يدفع الغرور والعجب عن أهل الصلاح ويدفع اليأس والقنوط عمن زلت بهم الأقدام . ويملأ قلوب الصالحين خوفا بعد أن ملأها الصلاح رجاء. ويملأ قلوب المذنبين رجاء بعد ما ملئت خوفا بما اقترفته أيديهم. والخوف من عذاب الله والرجاء في رحمته من مقتضيات الإيمان بالجليل الجميل سبحانه.

إن الرجل الصالح إذا غابت عنه هذه المعاني قد يكون هو ذلك الأحد الأول.

وإن الرجل المسئ الذي أدرك هذه المعاني قد يكون ذلك الرجل الثاني.

ما يستفيده الدعاة

أن الناس جميعهم، برّهم وفاجرهم بل والدعاة أنفسهم، موضوع دعوة إلى الله.

أما الصالح فيجب تذكيره وتثبيته والعناية به إلى آخر لحظة من حياته لئلا يكون ذلك الأحد الذي يضيع في آخر الطريق.

وأما الفاجر فيجب الطمع في هدايته وصلاحه إلى آخر لحظة من حياته لعله يكون ذلك الأحد الذي ينقذ في آخر الطريق.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

حلاوة الدعوة .....(تتمة)

الدَّولة دولةَ الدعوة هو أساس الهبوط.

التفكيرُ الطيني الذي غلب التفكير الديني هو الذي جعَل الناصر آخر الخلفاء العظام بالأندلس، وبعده بدأت شمس الأندلس تغرب.

هذا هو الخليفة الأندلسي العظيم الذي قيل عنه إنه كلما شعر بسرور يوم كان يَرْمُز له بعَقْد صُرَّة، فعندما مات وجدت عنده ست عشرة صُرَّة، أي لم تصْفُ له في حياة المُلْك العريضة إلا ستة عشر يوما.

أما عظمة العالم الرباني وهَيْبَتُه في النفوس فتتجلى في صفاته التي كان يتحلى بها، وعلى رأسها :

1- قوة العلم بالله تعالى ، منه تعالى استمدَّ القوة فأصبح لا يخشى في الله لومة لائم

2- قوة العلم بالشرع، فقد كان في درجة المجتهدين المفتين

3- قوة العلم بالمنهج الاسلامي الهادف إلى السمو بالانسان لكي يرتفع إلى ما فوق التراب والطين، والتشوق إلى النعيم يوم الدين.

4- قوة الجرأة في الحق بالحق لعلمه أن الإنسان أضعفُ ما يكون حينما تسقط همته وتهون

5- قوة اللجم لهوى نفسه حتى أصبح من الورعين الذين يهَابُهم أربابُ الدنيا المتلهُّون ببهرجها وزخرفها امتصاصا وتعصيرا لدرِّها، وامتشاشا لعَظْمها، طمعا في السعادة وهم في طريق الشقاوة سائرون.

أمثال منذر بن سعيد المرابطون في محاريب العلم والدعوة وتصحيح الانزلاقات التي تطيح بالكبار هم الذين تحتاج إليهم الدعوة، وبالأخص في عصرنا هذا الذي اشتبه فيه الخيط الأبيض بالأسود، فأصبح الناس لا يميزون بن الخيطين والنهجين والسبيلَيْن والدعوتين والعلمين، اختلط علْم الدنيا بعلم الآخرة، وطلَب الآخرة بطلَب الدنيا، واختلط الولاء لله تعالى بالولاء للأشخاص.

أمثال هؤلاء العلماء الربانيين هم الذين إذا هَبُّوا هَبَّ الناس، وإذا قالوا حَيَّ على التطهير تطهَّر الناس وتكفَّنوا لاستنشاق عبير الجنة ورُوحها وريحانها.

1- إشارة إلى حديث النبي ﷺ الذي رواه الدارقطني والبيهقي : «اجعلوا ائمتكم خياركم، فإنهم وفدكم فيما بينكم وبين ربكم» التاج 253/1 وربما ورد في بعض الروايات بلفظ «شفعاءكم».

2- هذا بدْءُ الهبوط، لأن الافتخار في الإسلام -إن صح- فهو بالعمل الصالح ونشر رسالة الهداية، وليس بالتفنن في اعلاء بنايات الطين، والتفنُّن في زخرفة ما يفني، والزهد فيما يبقى، ومن هنا كان التعارض تاماً بين منهج الخليفة وتصوّر العالم الربّاني للدنيا والدين.

3- كلمة "الأوحَد" لا تقال إلا لله تعالى، ولكن الناعتين من الأتباع وديدان الأرض يطلقونها -تملقا- على كل مسرف مطلق العنان للهوى، وقد عانى المسلمون ومازالوا، من هذا الأوحد، والأمجد، والأشرف، والأكرم، إلى أن يلطف الله بهذه الأمة فينعم عليها بربانيين.

4- تواضعاً أولا، وزهداً في المظاهر البراقة ثانيا، وكبتا للمبهورين ثالثا.

5- أمَّة واحدة : أي في الكفر، أي لولا أن يكفر الناس جميعا بسبب ميلهم إلى الدنيا، وتركهم الآخرة، لأعطيناهم في الدنيا : القصور المفضَّضة، والبيوت المذهّبة، والمصاعد التي يظْهرون ويصعدون عليها إظهاراً للبذخ، وافتخاراً بالمساكن والسطوح الفريدة المُبْهرة للمتهافتين على الدنيا، وهذا يدُلُّ على حقارة الدنيا عند الله إذ «لوْ كانت الدُّنيا تعدلُ عند الله جناح بعوضة ما سقَى كافراً منْها شرْبة ماءٍ» كما قال ﷺ.

ولكن الله عز وجل لحكمته جعل الدنيا ابتلاء للمومن والكافر ليبلوهما أيهما أحْسَنُ عملا، وبعث الرسل وأنزل الكتب لإرشاد الإنسان إلى الأصلح والأبْقَى، وصدق الشاعر :

فلوْ كانتِ الدنيا جزاءً لمُحْسن
إذاً لمْ يكُنْ فيها معاشٌ لظالِمْ
لقد جاع فيها الأنبياء كرَامَةً
وقد شَبِعَتْ فيها البَهَائِم

الجامع للأحكام 69/16.

6- أنظر : مقال بين خليفة وقاض مجلة الأزهر رمضان 1371، وانظر الإسلام بين العلماء والحكام 93. وانظر المبتكرات في الخطب والمحاضرات 188.

تدبر الأمثال في القرآن الكريم (*)

الشيخ الدكتور سعود الشريم

الخطبة الأولى

الحمد لله الكبير المُتعال، ذي العزَّة والجبروت والجلال، له الحمدُ في الأولى والآخرة، وله الحكمُ وإليه المردُّ والمآل، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، طيِّبُ الخصال، صادقُ الفعال، صلواتُ الله وسلامُه عليه وعلى آله وأصحابه والآل، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فأُوصيكم -أيها الناس- ونفسي بتقوى الله -سبحانه-، والاعتصام بحبله المتين، ونهجه القويم، وإياكم والكسلَ والخُذلان؛ فما نالَ العُلا كسلان، ولا وردَ الصفوة خُذلان، ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾(يوسف: 90).

أيها الناس: لله ما أجملَ هذا الشهر المبارك وما أروعه، لله ما أصفاه وأعذبَه، له حلاوةٌ كحلاوة الشهد وهو يُكرَّر، وله أُنسٌ وطُمأنينةٌ وسكينة تجعل من لامسَها يتمنَّى أن لو كانت السَنةُ كلُّها رمضان.

نعم، عباد الله: لقد خُضنا خمسة أسداس هذا الشهر المبارك، فكأن شيئًا لم يكن إذا انقضى، وما مضى مما مضى فقد مضى، لقد مرَّت أيامُه كلمح البصر، وتناقَصت لياليه وكأنها أوراقُ الخريف عصفَت بها الريحُ حثيثةً، فصارت أثرًا بعد ذات وخبرًا بعد كان.

لقد أبحرنا جميعًا في هذا الشهر المبارك مع أطهر الكلام وأصدقه، هو عزٌّ لا يُهزَم أنصارُه، ومنهاجٌ لا يضلُّ ناهجُه، هو معدنُ الإيمان وينبوعُ العلم، هو ربيعُ القلوب والدواء الذي ليس بعده دواء، فيه نبأُ من قبلَنا، وخبرُ ما بعدنا، وفضلُ ما بيننا، يرفع الله به أقواماً ويضعُ آخرين، ومن تمسَّك به فقد هُدي إلى صراطٍ مستقيم، ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الحقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾(المائدة: 83).

هو الكتابُ الذي من قامَ يقرؤه كأنما خاطبَ الرحمنَ بالكلم

إننا -عباد الله- لن نجد قصصًا ولا أمثالاً ولا أخبارًا أصدق منه، ولن نجد أكثر تشويقًا ولا أخذًا للألباب من كلام الباري -جل شأنُه- الذي نزل به الروحُ الأمين على قلب نبينا ﷺ ليكون من المُنذرين بلسانٍ عربي مبين، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيراً﴾(النساء: 82).

وشهر رمضان المبارك خيرُ فرصةٍ سانحة لأن يعيش المؤمن هذه الأجواء، ويُبحر بفكره ولُبِّه في أمثاله وعجائبه، ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً. قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لاَ تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا (107) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً﴾(الإسراء: 106 - 108).

ولو دقَّقنا النظر -عباد الله- في الأمثال المضروبة في القرآن لسمعنا قرآنًا عجبًا يهدي إلى الرشد، فالله تعالى يقول: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾(الروم: 58).

وقد جاء في القرآن ثلاثةٌ وأربعون مثلاً لا يتدبَّرها ولا يستطعمُ بلاغتَها إلا من له عقلٌ حيٌّ ولُبٌّ يلمَح، قال أحد السلف: "كنتُ إذا قرأتُ مثلاً من القرآن فلم أتدبَّره بكيتُ على نفسي؛ لأن الله يقول: ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ﴾(العنكبوت: 43)".

لقد ضرب الله لنا في القرآن أمثالاً متنوعة لم تكن قاصرةً على خلقٍ دون آخر؛ فقد يضربُ الله المثلَ في نبات؛ كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾(إبراهيم: 24)، وقد يضرب الله المثلَ بحيوانٍ أعجم؛ كما ذكر عن الذي آتاه آياته فانسلَخَ منها، فأتبعَه الشيطان فكان من الغاوين، وذلك كقوله: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾(الأعراف: 176)، وقد يضربُ الله مثلاً بالإنسان، كما في قوله: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لاَ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاَهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لاَ يَاتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَامُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾(النحل: 76).

فلله ما أعظمَ هذه الأمثال وما أعظم ما تحويه من نهايةٍ في العظَة والعبرة، ونهايةٍ في البلاغة وإيجاز اللفظ وحُسن التشبيه وقوة الكناية، ولقد صدقَ الله -سبحانه- إذ يقول: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾(الزمر: 23).

وإن تعجَبوا -عباد الله-، فعجَبٌ حينما يضربُ الله مثلاً لعباده بأحقر مخلوقاته وأصغرها؛ فقد قال تعالى عن العنكبوت: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾(العنكبوت: 41)، فهذه حال كل من تعلَّق بغير الله أو خافَ غيرَ الله أو رجا غيرَه أو أرضى الناسَ بسخط الله؛ فمن فقد اللهَ فماذا عساه أن يجد؟! ومن وجدَ اللهَ فما عساه أن يفقد؟! ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ﴾(الأنعام: 14)، وقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: «من تعلَّق شيئًا وُكِل إليه».

فيا خيبةَ من تعلَّق بغير الله في كافة شؤونه!

وقد ضرب الله لنا مثلاً أيضًا بالبعوضة الصغيرة التي لا نأبَهُ لها ولا نُعيرُها اهتمامًا إلا في قتلها، تلكم البعوضة التي قال الله عنها: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الحقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾(البقرة: 26)، ألا فسبحان الله هلاَّ سألنا أنفسَنا: لماذا يضربُ الله لنا مثلاً بالبعوضة؟! نعم، البعوضة التي لا يعرفُ من نزلت عليهم هذه الآية منها إلا صورتَها، فكيف بنا ونحن في زمنٍ كشفَ في البعوضة قلبَها ودماغَها وعيونَها وعروقَها، فهذه المخلوقةُ الصغيرة لا تُحقَر ولا تُزدَرى، فهي التي قيل في مثلها:

لا تحقرنَّ صغيراً في مُخاصمةٍ إن البعوضةَ تُدمي مُقلةَ الأسدِ

وإن العجبَ ليزداد -عباد الله- حينما يضربُ الله لنا مثلاً في الذُّباب، ذلكم المخلوق الذي يأنَفُ منه العموم تأفُّفًا وازدراءً، ويخُصُّه الله بالحضِّ على الإنصات والاستماع إليه بخلاف غيره من الأمثال، فيقول -سبحانه-: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لاَ يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ. مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾(الحج: 73-74).

فيا لله العجَب؛ كيف يضربُ الله مثلاً بهذا المخلوق الصغير جدًّا، المُحتقَر لدى أهل الدنيا، ولو علموا ما فيه من الأسرار لأدركوا عظمةَ الباري -جل شأنُه-، ولأيقنوا أنهم لا يُحيطون به علمًا، فإنه -سبحانه- قد يجعل أسرارًا عظيمة في أضعف مخلوقاته.

فلله كم أدهشَ هذا المخلوق ألبابَ العلماء والأطباء والصيادلة وذوي المعامل والمُختبرات، ولله كم أقاموا فيه من التجارب، وتوصَّلوا إليه من الإعجاز ما يُذهلُ الألباب ويُحدقُ بالأبصار، ولا غروَ حينما يُسلمُ بعضُهم عندما يرى عظمةَ الله في خلق الذُّباب، وكيف أن من أسراره قوة الإحساس في التخلُّص من الضرب بحيث يصعُب صيدُه لما خلقَ الله فيه من هذه الخاصية العجيبة، وكيف أنه في الوقت نفسه يحملُ داءً ودواءً بين جناحيه؛ حيث صحَّ بذلكم الخبر عن الصادق المصدوق في قوله: «إذا وقع الذُّباب في إناء أحدكم فليغمسْهُ كلَّه ثم ليطرَحْه؛ فإن في أحد جناحَيْه الداء وفي الآخر شفاء».

فالله أكبر! ما أعظم مثل الباري -سبحانه-، والله أكبر! لا نُحصي ثناءً عليه وتمجيداً له وهو كما أثنى على نفسه.

وإذا كان هذا هو خلقَ الذُّباب؛ فكيف بخلق الناس، وإذا كان خلق الناس هو ما نعلمُه ونُشاهدُه وما غابَ عنا كل أسراره؛ فكيف بخلق السماوات والأرض، فلا إله إلا الله، آمنَّا بما أنزل واتَّبعنا الرسولَ، فاللهم اكتُبنا مع الشاهدين، ولقد صدق الله: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾(غافر: 57).

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، قد قلتُ ما قلت، إن صواباً فمن الله، وإن خطأً فمن نفسي والشيطان، وأستغفر الله إنه كان غفَّاراً.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده. وبعد:

فاتقوا الله -عباد الله-، واعلموا أن الله ضربَ الأمثالَ للاعتبار والعظة، وقد قال الماوردي -رحمه الله-: "من أعظم علم القرآن علمُ أمثاله، والناس في غفلة عنه لاشتغالهم بالأمثال وإغفالهم المُمثَّلات".

وذلك -عباد الله- لما في الأمثال من تبكيت للخصم الشديد الخصومة، وقمعٍ لضراوة الجامح الآبي؛ فإنه تُؤثِّر في القلوب ما لا يُؤثِّره وصفُ الشيء في نفسه.

ولو تأمَّلنا -عباد الله- ضربَ الله المثل في الذباب وما أتبعَه من قوله: ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾(الحج: 74) لأدركنا سُحق الهوَّة بيننا وبين استحضار عظمة الله في جميع شؤوننا؛ فهل نُدرك قولاً وعملاً ما خلقَنا الله لأجله؟ وهل نُدرك حقًّا عظمةَ الله ونقدرَه حقَّ قدره؟ وهل نستشعرُ خضوعَ جميع المخلوقات له وحده -سبحانه- لا شريك له: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لاَ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾(الإسراء: 44)، إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾(مريم: 93).

لقد أدركَت البهائمُ ما خُلِقت له؛ فهل نُدرك نحن لماذا خُلقنا؟!

صلَّى رسول الله ﷺ صلاةَ الصبح ثم أقبل على الناس، فقال: «بيْنا رجلٌ يسوقُ بقرةً إذ ركبَها، فضربَها، فقالت: إنا لم نُخلَق لهذا، إنما خُلقنا للحَرث، فقال الناس: سبحان الله! بقرةٌ تكلَّم»، فقال: «فإني أُؤمنُ بهذا أنا وأبو بكرٍ وعمر .. الحديث»(رواه البخاري ومسلم، واللفظُ للبخاري).

فانظروا -يا رعاكم الله- كيف أدركَت هذه البقرة ما خُلقت لأجله وهي حيوانٌ أعجم؛ فهل يُدركُ بنو آدم لماذا خُلقوا، وهل قدَروا اللهَ حقَّ قدره؟! فمن أنطق هذه البقرة غيرُ الباري -جل شأنُه-؟! وقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾(فصلت: 21).

وإن تعجَبوا -عباد الله- فعجبٌ ما رواه الإمام أحمد في "مسنده" في قصة الأعرابي الذي جاء إلى النبي ﷺ، فيرويها أبو سعيد الخُدري يقول: عدا الذئبُ على شاة فأخذها، فطلبَه الراعي فانتزَعها منه، فأقعَى الذئبُ على ذنَبه قال: ألا تتقي الله! تنزعُ مني رزقًا ساقَهُ الله إليَّ؟! فقال الأعرابي: يا عجبي! ذئبٌ مُقعٍ على ذنَبه يُكلِّمني كلامَ الإنس، فقال الذئب: ألا أُخبرك بأعجب من ذلك؟ محمد ﷺ بيثرب يُخبرُ الناسَ بأنباء ما قد سبق. قال: فأقبل الراعي يسوقُ غنمَه حتى دخل المدينة، وأتى النبيَّ ﷺ .. الحديث.

سبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ذئبٌ يُخبرُ بالنبي ﷺ ويدلُّ عليه وعلى دعوته؛ فماذا صنعنا -عباد الله-؟ ذئبٌ قدرَ اللهَ حقَّ قدره؛ فأين نحن من هذا؟

لقد عُرِضت الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبَيْن أن يحملنها من باب قدرِ الله حقَّ قدره، فلم يحملهَا إلا هذا الإنسانُ الظلُّوم الجَهول، كلَ الخلائق قدَرت الله حقَّ قدره إلا بني آدم.

لقد ذكر -سبحانه- أنه يسجُد له من في السماوات ومن في الأرض والشمسُ والقمرُ والنجومُ والجبالُ والشجرُ والدوابُّ، ولم يقل: والناس، وإنما قال: ﴿وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾(الحج: 18)، ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾(إبراهيم: 34).

ولقد صدق الله -ومن أصدق من الله قيلاً-: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(الزمر: 67).

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: جاء حبرٌ من

تتمة ص : 7

التبليغ عند رسولنا ﷺ 2

ب- أسس مهمة في دعوته ﷺ (2)

عدم انتظار الأجر

ذ. محمد فتح الله كولن

كان عدم انتظار أي أجر دنيوي أو أخروي مقابل القيام بمهمة الدعوة والتبليغ كما فعل ذلك رسول الله ﷺ دليلاً آخر على نبوته. لأن هذا من أخلاق النبوة. والدعاة الحقيقيون الذين جاؤوا وسيجيئون من بعده هم الذين يتخلقون بهذا الخلق. والقرآن الكريم يأمرنا باتباع أمثال هؤلاء الذين لا يسألون أجراً من أحد(1).

لقد أنفق الرسول ﷺ ثروة السيدة خديجة رضي الله عنها في سبيل الدعوة، ولم يطلب من أحد لنفسه شيئا. وهذا هو أبو بكر رضي الله عنه من أقرب أصدقائه والذي كان يتهيأ لمرافقته في هجرته إلى المدينة، فأجر راحلة للنبي ﷺ، فأبى النبي ﷺ أن يركبها حتى يدفع ثمنها(2). في تلكم الظروف القاسية التي لا يفكر الإنسان فيها إلا في شيء واحد، هو مطاردة الأعداء لم يفكر النبي ﷺ هكذا. ألا يدل ذلك على شدة تجرده وإخلاصه؟ إذ كيف يستطيع إنسان أن يفكر في مثل هذا الأمر الثانوي في ذلك الوقت العصيب. إن هذه الحادثة درس جيد لدعاة هذا العصر، ينبغي عليهم أن يعوها جيدا.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : دخلت على النبي ﷺ وهو يصلي جالساً. فقلت : يا رسول الله أراك تصلي جالساً فما أصابك؟ قال : «الجوع يا أبا هريرة» فبكيت فقال : «لا تبك، فإن شدة القيامة لا تصيب الجائع إذا احتسب»(3) كان الجوع ضجيعه الذي لم يتركه أبداً.

عن أبي هريرة رضي الله عنه : خرج رسول الله ﷺ ذات يوم أو ليلة فإذا هو بأبي بكر وعمر. فقال : «ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟» قالا : الجوع يا رسول الله. قال : «وأنا، والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما»(4) أجل، الجوع... لقد أنفق ثلاثتهم كل ما يملكون في سبيل الله ولم يبق عندهم ما يسدون به رمقهم، وعندما عضهم الجوع لم يستطيعوا النوم وخرجوا إلى طرق المدينة.

هذه هي السواعد القوية التي حملت عبء الدعوة والتبليغ آنذاك. والدعوة الآن تحتاج إلى مثل هذه السواعد القوية لحملها ونشرها بين الناس.

وهذه هي ابنته فاطمة رضي الله عنها التي قال عنها رسول الله ﷺ «فاطمة بضْعَة مني فمن أغضبها أغضبني»(5) والتي كانت تقوم بأعمال البيت من نقل الماء وطحن الحبوب بنفسها إذ لم تكن لها خادمة تعينها على ذلك، حتى بدا الإرهاق عليها ووضح أثره في يديها وعلى كتفيها. وكان زوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنه يأسى لهذا الأمر غير أنه لم يكن يملك شيئا حياله. ودامت هذه الحال طويلا، غير أنها لم تشتك، ذلك لأنها كانت تحمل لخلق والدها، كما كانت أشبه الناس بوالدها في قيامها وقعودها ومشيتها(6).

وعندما أصاب المسلمون في إحدى المعارك غنائم وأسرى، وجلبت هذه الغنائم والأسرى إلى المدينة، ذهب كل من له حاجة إلى الرسول ﷺ فأعطاه ما تيسر له، فأشار علي رضي الله عنه على فاطمة أن تذهب وتسأل النبي ﷺ أن يعطيها خادماً يعينها. ولنستمع إلى الحادثة من علي رضي الله عنه وهو يروي أن فاطمة عليها السلام شكت ما تلقى من أثر الرحى، فأتى النبي سبْيٌ، فانطلقت فلم تجده فوجدت عائشة فأخبرتها، فلما جاء النبي ﷺ أخبرته عائشة بمجيء فاطمة، فجاء النبي ﷺ إلينا وقد أخذنا مضاجعنا فذهبتُ لأقوم فقال : «على مكانكما» فقعد بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدري. وقال : «ألا أُعلِّمكما خيراً. ما سألتماني، إذا أخذتما مضاجعكما تُكبّران ثلاثاً وثلاثين -وفي رواية أربعاً وثلاثين- و تُسبّحان ثلاثاً وثلاثين وتحمدان ثلاثاً وثلاثين، فهو خير لكما من خادم»(7).

وها هو يرى يوماً عند فاطمة رضي الله عنها سلسلة من ذهب فيقول لها : «يا فاطمة! أيغُرُّك أن يقول الناس ابنة رسول الله وفي يدها سلسلة من نار»، فأرسلت فاطمة بالسلسلة إلى السوق فباعتها واشترت بثمنها غلاماً فأعتقته. فحُدّث بذلك فقال : «الحمد لله الذي أنجى فاطمة من النار»(8).

ومما تجدر ملاحظته في هذا الأساس الثالث أن رسول الله ﷺ إضافة إلى عدم انتظاره أي جزاء أو منفعه من أحد فإنه كان يتحمل مظاهر العدوان والأذى والخصومة من الآخرين. فكم مرة حثَوْا على رأسه التراب فلم يسرع له سوى ابنته فاطمة. وكم من مرة دميت رجلاه من الأشواك التي كا نوا يرمونها على طريقه. وفي إحدى المرات كان يصلي في الكعبة فتجمّع عليه بعض المشركين وأراد أحدهم أن يخنقه بردائه خنقاً شديداً، فجاء أبو بكر حتى دفعه عنه فقال : أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم(9).

ولم تثن هذه الأفعال رسول الله ﷺ عن دعوته، لذا نراه يقول لابنته زينب وهي تبكي من أذى المشركين لوالدها : «يا بنية! لا تخشي على أبيك غيلةً ولا ذلّة..»(10) ولم يضيعه الله ولم يذله، بل جعل حبه أبديّا في قلوب الملايين من أتباعه.

وقبل أن ننتقل إلى موضوع آخر نورد هنا كلمات حول الدعوة والتبليغ. لقد حاولنا حتى الآن أن نشرح أن الدعوة هي غاية وجود الأنبياء ووجود نبينا، فما خلقوا إلا للدعوة والتبليغ. أما نحن فعند قيامنا بهذه المهمة مهمة الدعوة والتبليغ فإننا نقوم بها كوظيفة معينة ومهمة يجب تنفيذها ومسؤولية ينبغي أداؤها، ولكن الأنبياء يقومون بها لأنهم خلقوا لأجلها، فهي بذلك غاية وجودهم.

كما أننا عندما قمنا بتحليل هذا الموضوع حاولنا بيان كيفية أن الرسالة التي جاء بها رسول الله ﷺ مكتوب عليها "محمد رسول الله". كما قمنا ببيان الطرق والأساليب التي اتبعها في تبليغ رسالته هذه، وكيف أن هذه الأساليب دليل قائم بذاته حول نبوته ورسالته، وأشرنا إ لى الطرق السليمة التي لا يتيه ولا يضل فيها الدعاة. فنحن على يقين تام بأنه إذا أراد النجاح الدائم الباقي فليس أمامنا إلا اتباع الطرق والأساليب التي اتبعها النبي ﷺ. وقد أثبتت آلاف من الحوادث استحالة النجاح والتوفيق بالطرق الأخرى. لذا، فإننا نؤكد مرة أخرى بأن على الدعاة الذين يريدون أن يكونوا هداة ومرشدين للناس أن يتبعوا الرسول محمداً ﷺ. فهو المرشد الحقيقي. والطريق الذي خطه هو طريق الهداية الرشيدة، ذلك لأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

1- انظر هذه الآية : ﴿اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مُهتدون﴾(يس : 21).

2- البخاري، البيوع، 57، مناقب الأنصار، 45، اللباس، 16؛ "المسند" للإمام أحمد 197/6؛ "البداية والنهاية" لابن كثير 218/3.

3- "حلية الأولياء" لأبي نعيم 109/7، "كنز العمال" للهندي 199/7.

4- مسلم، الأشربة، 140؛ الترمذي، الزهد، 39.

5- البخاري، فضائل أصحاب النبي، 12، 16؛ مسلم، فضائل الصحابة، 93- 94.

6- البخاري، المناقب، 25؛ مسلم، فضائل الصحابة، 98- 99.

7- البخاري، فضائل أصحاب النبي ، 9.

8- النسائي، الزينة، 39؛ "المسند" للإمام أحمد 278/5.

9- البخاري، فضائل أصحاب النبي، 5؛ "المسند" للإمام أحمد 204/2.

10- "مجمع الزوائد" للهيثمي 21/6.

إشراقة

بدع المستفتين

ذ. عبد الحميد صدوق

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال : "دعوني ما تركتكم، إنما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء، فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فاتوا منه ما استطعتم"(متفق عليه).

الإكثار من الأسئلة من البدع المذمومة، وخاصة فيما لا يفيد، أو في الأمور العويصة التي لا تنبني عليها مصلحة تذكر، يقول ابن عباس رضي الله عنهما : ما رأيت قوما خيراً من أصحاب محمد ﷺ ما كانوا يسألون إلا عما ينفعهم. يعني أن هذا كان الغالب عليهم. وفي الصحيح : «إن أعظم المسلمين في المسلمين جرما من سأل عن شيء لم يحرم عليه فحرم عليهم، من أجل مسألته» وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : لا تسألوا عما لم يكن، فإني سمعت عمر يلعن من سأل عما لم يكن، وقد نهى النبي ﷺ : "عن الأغلوطات"(1).

قال الأوزاعي : هي صعاب المسائل.

ثم قال : إذا أراد الله أن يحرم عبده بركة العلم ألقى على لسانه الأغاليط.

وقال ﷺ : إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات، ووأد البنات، ومنع وهات، وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال، وإضاعة المال"(2).

وقال الحسن : إن شرار عباد الله الذين يجيئون بشرار المسائل يعتنون بها.

يقول الإمام الشاطبي : والحاصل أن كثرة السؤال ومتابعة المسائل والأبحاث العقلية والاحتمالات النظرية مذموم، وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ قد وعظوا في كثرة السؤال حتى امتنعوا منه، وكانوا يحبون أن يجيء الأعراب فيسألون حتى يسمعوا كلامه ويحفظوا منه العلم، ألا ترى ما في الصحيح عن أنس قال : نهينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن شيء فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل فيسأله ونحن نسمع(3).

وقد ذكر الإمام الآجري رحمه الله تعالى مواصفات العالم المتأسي بالهدي النبوي فقال: إن سأله منهم سائل عما لا يعنيه رده عنه، وأمره أن يسأل عما يعنيه،.. يقبل على من يعلم أنه محتاج إلى علم ما يسأل عنه، ويترك من يعلم أنه يريد الجدل والمراء.. وإذا سئل عن مسألة فعلم أنها من مسائل الشغب ومما يورث بين المسلمين الفتنة استعفى منها ورد السائل إلى ما هو أولى به(4).

1- رواه أحمد بإسناد حسن

2- رواه البخاري

3- الموافقات ج 4، ص : 234

4- أخلاق العلماء ص : 36.

تدبر الأمثال..... (تتمة)

الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد! إنا نجدُ أن الله يجعل السماوات على إصبَع، والماء والثَّرَى على إصبَع، وسائرَ الخلق على إصبَع، فيقول: أنا الملك، فضحك النبي ﷺ حتى بدَت نواجذه -تصديقًا لقول الحبر-، ثم قرأ: وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾(الزمَر: 67).

فمن أنت يا ابن آدم؟ ألم تُخلَق من ماءٍ مهين، ألست الفقير والله هو الغنيُّ الحميد، ألست الضعيفَ والله هو القويُّ العزيز؟ ولقد صدق رسول الله ﷺ إذ يقول: «لو كانت الدنيا تعدلُ عند الله جناحَ بعوضة ما سقَى كافرًا منها شربةَ ماء».

فما أهوننا على الله وهو القائل: ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلاَ بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾(لقمان: 28)، نعم؛ ألا ما أهونَ الخلق على الله، قالها أبو الدرداء حين رأى دولة الأكاسِرة تهوِي على أقدام المسلمين فبكى، فقيل له: ما يُبكيك؟ فقال: ما أهونَ الخلق على الله إذا أضاعوا أمره، بينما هي أمةٌ قاهرةٌ ظاهرة تركوا أمر الله فصاروا إلى ما ترى.

ألا فاتقوا الله -عباد الله-، واعلموا أن الله قد فرضَ عليكم صدقةَ الفطر على الذكر والأُنثى والحر والعبد والصغير والكبير، ولقد كان رسول الله ﷺ يُؤدِّيها قبل خروجه لصلاة العيد، وكان الصحابة -رضي الله عنهم- يُؤدُّونها قبل العيد بيوم أو يومين.

فأخرِجوها -رحمكم الله- طيبةً بها نفوسكم، مُقتدين بنبيكم ﷺ.

يا مَن يرى مدَّ البعوضِ جناحَها ... في ظُلمة الليل البَهيم الأَلْيَلِ

ويرى نِياطَ عروقِها فِي نحرِها ... والمُخَّ في تلك العظامِ النُّحَّلِ

امنُن عَلينا بتوبةٍ تمحُو بها ... ما كان منا في الزَمانِ الأولِ

(*) خطبة الجمعة من المسجد الحرام بمكة المكرمة 26 رمضان 1432هـ فضيلة الشيخ الدكتور سعود بن إبراهيم الشريم.

أهمية العناية باللسان العربي في توحيد الأمة الإسلامية (*)

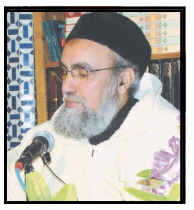

أ.د. الشاهد البوشيخي

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من لدنك رشدا، اللهم انفعنا بما علمتنا وعلمنا ما ينفعنا وزدنا علما، اللهم افتح لنا أبواب الرحمة، وأنطقنا بالحكمة، واجعلنا من الراشدين فضلا منك ونعمة. الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، الحمد لله الذي أكرمنا بالإسلام، الحمد لله الذي أكرمنا بهذا الشهر العظيم، الحمد لله على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، الحمد لله بلا حد كما أنعم بلا عد، سبحانه وتعالى. ثم الشكر لجميع المنظمين بدءا بهذا المجلس المبارك الذي نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعله ممكنا للخير في هذه الديار، ممكنا للعلم وأهله، والشكر لهذه الجمعية الفتية المباركة التي حملت على عاتقها رسالة حماية اللغة العربية والدفاع عنها في هذا الظرف الصعب الذي أصاب فيها العربية ما أصاب الإسلام، ولا عجب في ذلك فهي منه وهو منها، فما أصابه لابد أن يصيبها، الحمد لله الذي له الحمد في الأولى وفي الآخرة والشكر أيضا للجمهور الكريم الذي تفضل ليحضر هذه الكلمات.

عنوان هذه الكلمة كما استقام عندي هو: "أهمية العناية باللسان العربي في توحيد الأمة الإسلامية".

اللسان العربي هو اللفظة القرآنية الأصيلة. والله جل وعلا جعل من آياته اختلاف ألسنتكم وألوانكم، اختلاف ألسنتكم أي اختلاف لغاتكم. وابن خلدون رحمه الله تعالى عقد بابا لعلوم اللسان، فهذا اللفظ لم يكن عليه غبار في زمانه، ثم عراه مما عرا كثيرا من الألفاظ، عبر التاريخ الطويل.

والأمة الإسلامية هي هذه الأمة التي نراها الآن، ونعيش في أحضانها، هي هذه الأمة المتمثلة في بلدان العالم الإسلامي، هي هذه الأمة التي تجمعها منظمة المؤتمر الإسلامي، هذه الأمة المشعرة بلفظها أنها إنما تنتمي إلى الإسلام، مشعرة بلفظها أنها إسلامية، وهي كذلك حتى الآن لا تمثل الإسلام كل التمثيل، حتى الآن لا تمثل هذا الدين كل التمثيل، ولكنها تنتمي إليه، وهو الذي صنع تاريخها، وهو الذي يوحد ما توحد منها، فهذا الشهر المبارك الذي نصومه، هو شهر تصومه الآن كل الأمة الإسلامية، هي موحدة في صيامه، وليتها كانت موحدة في جميع أمورها كوحدتها في صيامه!! هي موحدة في القبلة التي تتجه إليها في صلاتها، هي موحدة في الكعبة التي يطاف بها في الحج الذي فرض عليها، هي موحدة في كتاب ربها الذي أنزله على رسولها ﷺ، هي موحدة في أساسيات هذا الدين وكلياته، ولكنها مشرذمة في كثير من أمور حياتها، مشتتة ممزقة، وحسبك أنها سبع وخمسون دولة في منظمة المؤتمر الإسلامي. مع أن الأصل أن تكون دولة واحدة لها إمام واحد، إن هذه الأمة قد عرفت عبر تاريخها الطويل مدا وجزرا.

عرفت في مدها انتشارا عظيما لافتا يذكر في التاريخ، في ظرف زمني وجيز جدا، انتشرت نقطة الضوء من بيت الله الحرام إلى المدينة المنورة إلى الجزيرة العربية، إلى شمال الجزيرة، وشرقها، فغرب الجزيرة، إلى أن دقت في أقل من قرن أبواب أوربا من الخلف على يد الجنود المسلمين الأوائل من المغاربة البواسل، دقت أبواب أوربا من الخلف وأدخلت عليها النور، فكان مما كان مما نعلمه جميعا.

وكل ذلك في زمن قصير جدا، وما فتح تمكن فيه الخير لانسجامه مع الفطرة، تمكن فيه الإيمان ودخل أهلها في الإسلام، أحبوا هذا الدين، ورغبوا فيه وآثروه على أنفسهم، وجاهدوا من أجله، وحملوه حمل المؤمنين الصادقين.

المرحلة (الاستعمارية) التي لا تزال ممتدة بصور متعددة هي التي جزأت الأمة هذه التجزئة الحالية اليوم، وشرذمتها هذا التشرذم الذي توجد عليه الأمة. ولا تزال تسعى إلى ما يسمى تفتيت المفتت، لأن كل اتجاه إلى التفتيت يضعف الأمة، كل سير في اتجاه التفتيت واتجاه التجزيء يضعف الأمة قطعا، وكل سير في اتجاه الجمع والتوحيد يقوي الأمة

ولذلك عندما وقع ما وقع في مرحلة الجزر، استمر الإيمان راسخا وأعطى نماذج في غاية الروعة، حتى الآن للأسف لم يكشف عنها للأمة، ولكن ستظهر هذه الأمور بعد، يوم تنكشف الغمة عن هذه الأمة، وستظهر هذه الروائع التي سطرها أجدادنا المسلمون في الأندلس بعد تمكن الصليبية منها، بعد تمكن محاكم التفتيش، بعد نقض العهود التي كانت يوم الميثاق في تسليم غرناطة، أمور في غاية الخطورة لكنها غير معروفة حتى الساعة للأسف الشديد، ولكن سيأتي اليوم الذي ستظهر فيه كثير من القصص العظيمة للمؤمنين بعد قرن وقرنين وثلاثة قرون من تمكن الصليبية من الأندلس. بل إنه ربما توجد حتى اليوم أسر مسلمة منذ ذلك التاريخ تتوارث عددا مما كان مقدسا عندها، وعلى رأسه كتاب ربها.

هذه الكلمة دائرة على خمس نقط:

النقطة الأولى: مقدمة في ضرورة الاهتمام بوحدة الأمة، وتحتها نقط.

النقطة الثانية: رسالة الأمة في القرن الخامس عشر الهجري، وتحتها نقط.

النقطة الثالثة: الوحدة طريق أداء الأمة لرسالتها، وتحتها نقط.

النقطة الرابعة: موجبات العناية باللسان العربي في الأمة اليوم، وتحتها نقط.

النقطة الخامسة: خاتمة في ضرورة جعل اللسان العربي لغة رسمية في جميع دول منظمة المؤتمر الإسلامي.

النقطة الأولى: مقدمة في ضرورة الاهتمام بوحدة الأمة :

أيها الأحبة في مرحلة المد، كانت الأمة بكاملها تشبه روحا متوهجة، كانت نورا ينداح في الأرض، ينير قلوب الحيارى، يهدي العقول، ويطمئن القلوب. كانت روحا تنفخ في الناس، ولكن مع مرحلة الجزر بدأت تخبو تلك الجذوة، وبدأت تتراجع، وظهرت آثار الوضع السيئ. ونحن اليوم في نهاية مرحلة الجزر وبداية مرحلة المد، العين قد تخطئ الآن في تقويم وضع الأمة، حين ترى أن الشر فيها كثير، والتهاون في حمل أمانة هذا الدين كبير، لكن إذا نظرت إلى الواقع وحدّقت فيه النظر وعرفت ما يجري في أحشاء بطن الأمة وقارنته بما مضى من تاريخها في أربعة عشر قرنا، أحسست بأن الموجة القوية الآن النابضة والصاعدة من قلب الأمة، هي في وضع المد ولكنها تحتاج إلى زمن لتظهر آثارها في الأمة أولا ثم فيما حول الأمة ثانيا.

لذلك علينا اليوم وعلى أبناء الأمة اليوم، ألا تحاصرهم الأقفاص التي وضعها الغرب الصليبي، لأنهم في نهاية مرحلة الجزر. في القرنين الماضيين عاقبنا الله عز وجل بما كسبت أيدينا بتسليط الصليبية علينا، وبتسليط ما تسلط على الصليبية من الصهيونية ثم علينا. هذا الوضع أعطى رد فعل وهو الذي أحدث الموجة الناهضة الآن، وفي نهاية تلك المرحلة ولما تنتهي للأسف الشديد، الاستعمار خرج جسده ولم تخرج روحه من الأمة. هذه المرحلة (الاستعمارية) التي لا تزال ممتدة بصور متعددة هي التي جزأت الأمة هذه التجزئة الحالية اليوم، وشرذمتها هذا التشرذم الذي توجد عليه الأمة. ولا تزال تسعى إلى ما يسمى تفتيت المفتت، لأن كل اتجاه إلى التفتيت يضعف الأمة، وكل سير في اتجاه التفتيت واتجاه التجزيء يضعف الأمة قطعا، وكل سير في اتجاه الجمع والتوحيد يقوي الأمة. فلا عجب إذا كان الغرب قد صنع هذه الأوضاع صنعا، بعد الحرب العالمية الأولى كما تعلمون، ولا أطيل، صنعها صنعا، وصنع لها ما يحفظها ويمنع دخول بعضها إلى بعض إلا بعدد من العجائب والغرائب من التأشيرات والجوازات وعجائب وغرائب، كل ذلك من صنع الغرب أساسا، لم يكن في واقع الأمة قبل، وإنما صنعه الغرب صنعا وحرص عليه وحماه ورعاه وما زال يحميه ويرعاه. ويزيد كلما أمكن التفتيت، وضع الألغام كما تعلمون في عدد من المناطق، انظروا إلى حالة الأكراد في أربع دول، انظروا إلى حالة الطوارق. في عدد من دول الصحراء، وَضَع عدة ألغام لا تسمح بالاستقرار ودائما يجد فرصة ليتدخل، وليفعل ما يفعل ويفتت ما يمكن تفتيته كحالة السودان قريبا، وغيرها مما ينتظر، نسأل الله السلامة.

أقول: المسلم اليوم لا ينبغي أن يطمئن إلى هذه الأقفاص التي وضعته فيها أوروبا، بل لا بد أن يرنو إلى الأفق القريب إن شاء الله تعالى، البعيد في الظاهر ﴿إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا﴾ هو أفق ليس ببعيد وعلى المسلم أن يحمله في قلبه اليوم أينما كان، أنّه ينتمي إلى هذه الأمة؛ هذا الصيام صيام شهر رمضان الذي يعبر عن الأمة، هذه القبلة، هذا القرآن، هذا الحج، هذه الأركان هي التي تعبر حقيقة عن الجامع للأمة، لا ما سوى ذلك.

الطينيات بجميع أنواعها جمعها رسول الله ﷺ في كلمة واحدة تبطل سحر السحرة جميعا، وفي أي نقطة من الأرض، حين قال الرسول ﷺ : «كلكم لآدم وآدم من تراب، لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى»(رواه البيهقي). هل بقي بعد للمصري أن يبحث عن جذوره الفرعونية بوحي أوروبا، ، هل بقي بعد للبناني أو السوري أن يبحث عن جذوره الفينيقية كما تحدثت عنها أوروبا، هل بقي للعراقي أن يبحث عن جذوره الآشورية أوالكلدانية أوالبابلية... هذه جذور صنعها الغرب بهذه الأقفاص، بحث عنها لتقف، ويجتهد لتبقى... الطين في حقيقته ليس مجزءا في أصوله، نحن جميعا من ذكر وأنثى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى﴾ هذا يعني أن الأخوة البشرية موجودة، سم ما شئت ارتباطا بهذه الطينيات التي تصل إلى ألفي سنة، خمسة آلاف سنة، عشرة آلاف سنة... لا، هناك ارتباط حقيقي بأصل الانطلاق الذي هو آدم وحواء، فنحن جميعا في الأصل إخوة ﴿كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيئين مبشرين ومنذرين﴾ منبها على ذلك الأصل الأول الذي كانوا عليه، لأن آدم لما أهبط إلى الأرض، أهبط ومعه هدى، جاءه هدى من ربه... وكلما وقع الضلال يأتي الرسل لإرجاع الناس إلى الفطرة والصواب حتى جاءت الرسالة الخاتمة للرجوع إلى الأصل الأول، لأنها رسالة ليست كالرسائل السابقة. إنها رسالة إلى الناس كافة: الأصفر، والأبيض، والأحمر والأسود، جميع الألوان، جميع الأجناس، جميع الأشكال، جميع الطبقات، جميع الأمكنة والأزمنة، كل ذلك برسول واحد، وكتاب واحد وقبلة واحدة، ولا يقبل أي دين آخر بعد... ﴿ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه﴾ «والله لو كان موسى حيا ما وسعه إلا اتباعي»(رواه أحمد والدارمي)

تتمة ص : 9

كما قال الرسول ﷺ لأن الأصل ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيئين لما آتيناكم من كتاب وحكمة، ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتومنن به ولتنصرنه، قال أقررتم وأخذتم على ذلكم إصري، قالوا أقررنا، قال: فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين﴾(آل عمران : 80).

لذلك أخي المسلم، أختي المسلمة لابد أن نحمل في قلوبنا هم الأمة لنؤسس للغد المنتظر، لنحضِّر أنفسنا وأبناءنا لذلك، والتاريخ يتهيأ والزمان يستدير ليصل إلى المرحلة التي يصير فيها كهيأته يوم خلق الله السماء والأرض، بإذن الله تعالى.

والله عز وجل قال: ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الذين كله﴾ حينما رأى المسلمون قبل، هذا الظهور المادي، فسروه بظهور الحجة وظهور الغلبة في المناطق. لكن الآيه صريحة وواضحة بأن الدين لا يتوقف على زمان محمد ﷺ ولا زمان الصحابة والتابعين عليهم رضوان الله تعالى، ولا في أي زمن، الزمن ممتد والرسالة ممتدة ونحن ننتظر هذا، والرسول ﷺ بشرنا في الأحاديث الصحيحة «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها»(رواه مسلم وأبو داود وأحمد) أو كما قال الرسول ﷺ، «لا يبقى على وجه الأرض بيت مدر ولا وبر إلا دخلته كلمة الإسلام بعز عزيز أو بذل ذليل، أما الذين يعزهم الله فيجعلهم من أهلها وأما الذين يذلهم الله فيدينون لها»(أخرجه أحمد)... فالأمر آت والحديث الحسن المشهور الذي له عدة متون، منها ما رواه الإمام أحمد عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكًا عاضًا فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكًا جبريا فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة» مر هذا التاريخ، في أربعة عشر قرنا مضت، ونحن نرى الآن بوضوح أن الأرض تتهيأ لهذا، تتهيأ بانتهاء الكتلة الأولى، وتتهيأ بالانهيارات التي تصيب الكتلة الثانية، وتتهيأ بما يتخلق في جسم الأمة الإسلامية اليوم، فذاك صاعد وذاك هابط، وفي وقت من الأوقات سيتحقق ما أخبر به الرسول ﷺ.

أيها الأحبة لا شهادة للأمة على الناس إلا بعد الوسطية، الله عز وجل قال: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا﴾ هذه الوسطية هي المؤدية إلى الشهادة ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس﴾ فلنعد أنفسنا لهذا ولنعد أمور الأمة جمعاء، ولا وسطية إلا بعد الاعتصام بحبل الله ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا﴾ هذه اللفظة في غاية الأهمية (جميعا)، لا داعي لننزل الآيات تبعا للتكتلات الصغيرة، جميعا يعني جميع المسلمين في العالم، مطلوب منهم أن يعتصموا بحبل الله، لا تصدق الآية على قطر من الأقطار أومدينة من المدن، كلا ثم كلا، الأمر ليس هكذا، إنما الخطاب هو للجميع، ولا وحدة إلا بعد مجاهدات، واجتهادات وجهاد، لن نحصل على هذه الوحدة إلا بعد مجاهدات واجتهادات كثيرة جدا وجهاد أيضا كبير جدا، كما قال تعالى في النوع الأول: ﴿وجاهدهم به جهادا كبيرا﴾ أو بقية الأنواع: ﴿يا أيها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تومنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويُدخلكم جنّات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيّبة في جنّات عدن ذلك الفوز العظيم وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المومنين﴾(الصف : 10- 13).

النقطة الثانية هي رسالة الأمة في القرن الخامس عشر الهجري:

وتحتها ثلاث نقط :

1- نقل الأمة نفسها من الإسلامية إلى المسلمة

2- بناء الأمة الوسط في مختلف المجالات

3- تحرير البشرية من هيمنة الطاغوت

القرن الخامس عشر مضى منه ثلثه الآن، ولا يفوتني بهذه المناسبة أن أقول، إننا في القرن الخامس عشر، ولسنا في القرن الواحد والعشرين مفهوم هذا الكلام، للأسف الكتب المدرسية تُحَوَّل فيها الأرقام الهجرية، ليصبح تاريخا ميلاديا تمر في صمت، لا كلام عنها، ولكن الكتب المدرسية في عدد من التخصصات تعرف هذا المكر الخفي. ﴿والله من ورائهم محيط﴾ لذلك أقول إننا نعيش زمنا بعينه، نحن الآن في القرن الخامس عشر، ولا صلة لنا بالقرون الوسطى، لا صلة لنا بالتاريخ الأوروبي، لكل زمنه. حديثنا عن تاريخنا في إطار زمننا، هذا القرن الخامس عشر ما رسالة الأمة فيه؟ مضى ثلثه الأول، وهو الآن يختم بأشكال من الوعي والصحو، قد تظهر فيها كربات، وفيها ابتلاءات ومصائب، لكن التحولات التاريخية لابد أن ترى قدرا من ذلك. فلا عيب في ذلك، إن الأمور تتجه في اتجاه الخير إن شاء الله عز وجل، مهما شابها ومهما رافقها من عجائب وغرائب، والآن نشهد لماذا في هذا القسم من الأمة الذي يسمونه الأمة العربية، وهو في حقيقته صدى لاتجاه معين، اتجاه القومية العربية، وإلا فالمسلمون مسلمون جميعا عربا وعجما، ﴿هو سماكم المسلمين﴾ ولم يسمكم أي شيء آخر، فلا نسمى بأي اسم آخر، واختار لنا اسم المسلمين، واختار لنا الإسلام. هذا القسم لماذا ظهر فيه ما ظهر؟ هذا يرجع إلى موضوع محاضرتنا، لأن اللسان العربي يمثل القاسم المشترك في هذا الجزء من الكرة الأرضية، وأي لسان هو ليس أداة للتواصل فقط، كلا ثم كلا، هو أداة نقل حضارة، هو أداة نقل ثقافة، هو أداة نقل منهج، هو أداة نقل كيف حضاري، اللغة تختزن العجب العجاب من الطاقة. فكون هذه الأمور الآن تسري في هذه المنطقة ولا تسري في مناطق أخرى، فذلك لعدم وجود هذا القاسم المشترك، ويوم يحضر في بيئات أخرى، أيضا ننتظر مثل ذلك في الثلث الثاني من القرن.

أقول رسالة الأمة في هذا القرن، منتظر منها أولا أن تأخذ نفسها هي بنفسها في تحولات داخلية عميقة، من الأمة الإسلامية إلى الأمة المسلمة، وشتان بين الاصطلاحين، اصطلاح قرآني في دعوة إبراهيم عليه السلام: ﴿ربنا واجعلنا مسلمين لك، ومن ذريتنا أمة مسلمة لك﴾ وهو يعني أنها تمثل الإسلام، فالإسلام لها صفة راسخة موجودة فيها، قد أسلمت أمرها لربها، كما أسلم إبراهيم أمره لربه: ﴿ إذ قال له ربه أسلم، قال أسلمت لرب العالمين، ﴿وأوصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب...﴾.

أما الأمة الإسلامية فإنها التي تنتمي وتنتسب إلى الإسلام، والحقيقة أن هذا المصطلح اليوم ينسجم مع واقعنا كامل الانسجام. وهو الواقع الذي تمثله منظمة المؤتمر الإسلامي، هذا المفهوم ليس هوالموعود بما وعد الله عز وجل به، وإنما الموعود بذلك هوالأمة المسلمة وهي الأمة الواحدة، وهي الوارثة لأمة الإسلام عبر التاريخ، للأمة المسلمة عبر التاريخ التي أشار إليها القرآن الكريم: ﴿وأن هذه أمتكم أمة واحدة، وأنا ربكم فاتقون﴾.

جميع الأنبياء مسلمون، وجميع الأديان التي جاءوا بها هي من الإسلام، هي مرحلة من مراحل تنزل الإسلام، حتى إذا اكتملت النعمة على بني آدم، على البشرية في الأرض، جاءت الرسالة الخاتمة، وجاء الكتاب، وقبل ذلك : ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب﴾، ولم يؤتوا الكتاب كله ﴿مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه﴾ هذا هوالكتاب : ﴿ألم، ذلك الكتاب﴾.

الأمة الإسلامية مطلوب منها أفراداً ودولاً أن تنتقل من هذا الوضع الذي لا يمثل الإسلام خير تمثيل، إلى الوضع الذي يمثل الإسلام حق التمثيل وهوالأمة المسلمة.

ومطلوب منها أن تبني بعد ذلك أمة الوسط في مختلف المجالات، مطلوب منها أن تبني نفسها، بالحرص على الإمامة العلمية في كل التخصصات، ومطلوب منها أن تسترجع القسم الضائع منها الذي يستعمله الغرب الآن في جهاده الذي يدير به العالم، والذي يتمكن ويزداد تمكنا، قسم الأدمغة المهاجرة التي هي بالملايين، والأدمغة المهاجرة التي تعمل في الغرب وتقويه علينا، هذه الأدمغة مطلوب استرجاعها، بإعمال كل ما يلزم لاسترجاعها، بالذي يستطيع توظيفها ويجعلها أداة لبناء الأمة الخيرة، الأمة الوسط. هي الأمة التي مطلوب منها الشهادة على الناس بهذا الدين.

ثالثا مما هومنتظر من هذه الأمة في نهاية هذا القرن، تحرير البشرية من هيمنة الطاغوت: ﴿والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها، وأنابوا إلى الله لهم البشرى﴾ الطاغوت هو كل ما عبد من دون الله، والطاعة كما في حديث عدي المشهور حيث أورد الإمام أحمد والترمذي أن عدي بن حاتم قدم على النبي ﷺ وهو يتلو قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ...﴾ فقال له: إنا لسنا نعبدهم فقال له النبي ﷺ : «أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟» فقلت بلى، فقال : «فتلك عبادتكم إياهم». ما يسمى الآن بالشرعية الدولية، هذا المصطلح بالضبط الذي إذا فتش فيه لا يوجد ممثلا في أكثر من دولة أو بضعة آلاف نسمة في دولة، لأنه إذا كانت هناك دولة مأسوف عليها، فهي دولة الولايات المتحدة الأمريكية، إننا نرثيها ونتأسف على حالها، أي رئيس للولايات المتحدة لا يستطيع أن يفعل شيئا إلا أذا أذنت له تلك الآلاف، هذه الهيمنة لغير شرع الله، لغير دين الله، هذه الهيمنة المفروضة على العالم، ما يقال له العولمة، ليس له وجه اقتصادي فقط، بل له وجه ثقافي مدمر للثقافات، مدمر للخصوصيات الثقافية، هذا هو الوجه الكالح للعولمة، لأن العصر عصر تأليه وعبادة للمادة، على حد قول الرسول ﷺ من حديث أبي هريرة الذي أخرجه البخاري : «تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة إن أعطي رضي وإن لم يعط لم يرض»، عباد الدولار وعباد المادة والعجل في هذا الزمان هم الأكثرية. ولذلك الإنسان أصبح يباع ويشترى بثمن بخس، والأصل أن ابن آدم لا يباع ولا يشترى. كان العرب قديما يقولون: إنما المرء بأصغريه، قلبه ولسانه، فإذن ذلك الذي هومعنى في الإنسان هوالذي

الأمة الإسلامية مطلوب منها أفراداً ودولاً أن تنتقل من هذا الوضع الذي لا يمثل الإسلام خير تمثيل، إلى الوضع الذي يمثل الإسلام حق التمثيل وهوالأمة المسلمة، ومطلوب منها أن تبني بعد ذلك أمة الوسط في مختلف المجالات، مطلوب منها أن تبني نفسها، بالحرص على الإمامة العلمية في كل التخصصات، ومطلوب منها أن تسترجع القسم الضائع منها الذي يستعمله الغرب الان في جهاده الذي يدير به العالم، والذي يتمكن ويزداد تمكنا، قسم الأدمغة المهاجرة التي هي بالملايين

تتمة ص : 10

أصبح يباع ويشترى، وبثمن بخس!!

فإذن لا يمكن تحرير البشرية وإخراجها من ظلم الكبار، الذي هي رازحة تحت نيره الآن عمليا وتوجد له هياكل لا معنى لها، أي معنى يمكن أن يتصور لمجلس يسمى مجلس الأمن، خمسة من الناس إذا اتفقوا على شيء انسحب على العالم كله، أي معنى يمكن أن يكون لحق النقض، شخص واحد يقول لا فيفسد رأي خمسة ملايير من البشر. بأي حق كان هذا وبأي منطق، إلا منطق القوة والغلبة، إلا منطق: أليس لي ملك الأرض وهذه الشعوب تبكي من تحتي.

النقطة الثالثة: الوحدة طريق أداء الأمة لرسالتها :

لا يمكن إنقاذ الناس إلا بالحق والقوة، ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات، وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد﴾ رسول الله ﷺ يقول، في حديث الإمام أحمد الذي فيه :«وجعل رزقي تحت ظل رمحي» الجهاد ماض إلى يوم القيامة، الضعاف لا يحملون أمانة، لم يوسد الله أمانةً لضعيف، دائما الأمانة تابعة للقوة، ﴿إن خير من استاجرت القوي الامين﴾ قوة الأمة ضرورية لتحتل موقعها وموضعها الذي وضعها الله عز وجل فيه، فتكون شاهدة على الناس، لن يمكن ذلك إلا إذا كانت أمة وسطا في مختلف المجالات، إذ ذاك يمكن لها أن تنجز ما يمكن إنجازه لها وللناس وللعالم.

ولتحقق الأمة رسالتها، لابد من ثلاثة أمور :

الأول : وحدة الإيمان أساس وحدة الأوطان، وليس العكس.

الثاني : لا قيمة للأوطان في الأمة ما لم تنصهر جميعها في كيان.

الثالث :وحدة اللسان شرط لرص البنيان ووحدة الكيان.

الأمر الأول : وحدة الإيمان أساس وحدة الأوطان، ما الذي يجمع الناس في هذه الأمة وفي ميزان هذه الأمة، وفي منطق هذه الأمة وفي كتاب هذه الأمة؟ إنه شيء واحد هو الدين فقط، هو وحده الجامع، يختلف الناس في الأفكار، يختلفون في مساقط الرأس، يختلفون في أصولهم التاريخية القديمة، يختلفون جغرافيا، يختلفون ويختلفون. . . لكن الشيء الذي يجمع أبناء الأمة جميعا هو الدين، هو الله : لا إله إلا الله محمد رسول الله، إذا زال هذا الجامع تشتت الناس وكل ذهب إلى رايته، إلى تلك التي قال عنها الرسول ﷺ : «...دعوها فإنها منتنة»(رواه البخاري). شيء واحد يجمعنا محليا ودوليا هو هذا فقط. فوحدة الإيمان هي التي يجب أن ترسخ، وتوسع ويمكّن لها ويجمع الناس جامعها، ليس لهم جامع سواها.

والأمر الثاني :لا قيمة للأوطان في الأمة، ما لم تنصهر كلها في كيان. الأوطان مجرد مرحلة، نعم صنعها الغرب كما قلت، ويريد تفتيتها من جديد ما استطاع إلى ذلك سبيلا، ولكنها في منطق الصعود لها نسق آخر، هي مرحلة من المراحل، توحيد الأوطان، توحيد لأبناء كل وطن على الحق، على أصل الوحدة، على الدين، هذا تمكين لوحدة الأمة جمعاء في كيان جامع لها بأي نوع من أنواع الجمع، لا حرج ولا إشكال في هذا الموضوع، حتى ولوسمينا أنفسنا الولايات المتحدة الإسلامية، بأي طريقة تمت. هذه الخمسون ولاية الموجودة بالولايات المتحدة الأمريكية، ولكنها منظمة وتسير بنظام واحد، بوزارة تعليم، ووزارة دفاع واحدة وكذا وكذا... نحن أحق بكل ذلك منهم، سبع وخمسون دولة الآن من حقها أن تتجمع، ما عندها من خيرات وثروات، ما ادخر الله لها في باطن الأرض وفي داخلها من ذهب أسود وذهب أصفر، وذهب أبيض، جميع أنواع الثروة توجد عندها، وثروة البشر عندها أكثر مما عند سواها. هذه الأوطان مرشحة لتنصهر جميعا في بوتقة كيان واحد، هي الأمة المنتظرة في نهاية هذا القرن إن شاء الله تعالى.

الأمر الثالث : وحدة اللسان شرط لرص ذلك البنيان ووحدة الكيان. وحدة اللسان مطلقا، الولايات المتحدة الآن عندها اللغة الإنجليزية، عموما عندما تجتمع دولة ما، أمة ما على لغة واحدة، يكون ذلك مصدر قوة لها، بناء على أن اللغة كما قلت من قبل ليست أداة للتواصل فقط، بل هي حاملة لمضامين حضارية، مضامين فكرية تقرب الناس من بعضهم، وتسهل انصهارهم وتسهل توحدهم. فاللغة الواحدة تعتبر من عناصر الوحدة حتى عند غيرنا، ولكن عندنا نحن، لها وجه آخر، وتلك اللغة هي لغة القرآن، هي اللغة العربية.

النقطة الرابعة: موجبات العناية باللسان العربي في الأمة اليوم :

الموجب الأول أنه لسان الوحي الجامع.

والموجب الثاني أنه لسان التراث الجامع.

والموجب الثالث أنه لسان الغد الجامع.

اللسان العربي هو لسان القرآن، والقرآن الكريم هو كتاب البشرية جمعاء، وكتاب هذه الأمة خاصة. هذا الكتاب لا يمكن أن يقرأ إلا بالعربية، الذي يقرأ القرآن بالترجمة الإنجليزية أوبالترجمة الإيطالية أوأي لغة، لا يقرأ **القرآن، وإنما يقرأ فهم الترجمان للقرآن، أوالمفكر أوالباحث، لا يقرأ القرآن بحال، القرآن لا يقرأ إلا بالعربية، ولا يفهم ولا يستنبط منه إلا بالعربية. ولذلك لا يمكن أن نتصور بلدا إسلاميا ليست لغته العربية، كيف؟ بمنطق القرآن لا يمكن، كيف يمكن أن يتذوق كتاب ربه ويعرف رسالة ربه بغير العربية،** يعرف ذلك بالواسطة ولكن يكون عالة على تلك الواسطة. والله عز وجل يقول: ﴿ادعوني أستجب لكم﴾ كل ذلك يدعونا إلى أن نتصل به بكلامه مباشرة بدون واسطة، هذا من أسرار هذا القرآن، هذا التدبر الذي يحدث في أيام رمضان هل يتيسر لغير أهل العربية؟ لا يمكن، ربما يسمع أنغاما جميلة، ولحنا مباركا، ويكون في جو طيب، لكن لن يتذوقه إلا إذا كان يعرف العربية. ومع العربية الإيمان «فإذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان» لابد من الإيمان، لأنه إذا أتقن من العربية ما شاء، فإنه لا يفيده ذلك ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاء وَالَّذِينَ لاَ يُؤمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾.

فالموجب الأول أن هذا اللسان هو لسان الوحي الجامع، لماذا قلت الوحي ليشمل الكتاب والسنة، وقلت الجامع لأن الأمة بعد مرحلة تنزل الوحي بدأت بالتشتت، الوحي هوالجامع الأكبر لهذه الأمة، هوالمنطلق الذي انطلقت منه فروعها، وفروع علومها، كل ذلك انطلق من هذا الأصل الجامع، فينبغي الآن العودة إلى هذا الأصل الجامع إذا أردنا أن نجمع كلمة الأمة من جديد. لن تجتمع الأمة اليوم ولا بعد اليوم على فرع من الفروع لأن الفروع الأخرى ستقاوم، لن تجتمع على طائفة، لن تجتمع على مذهب معين، أبدا، لن تجتمع إلا على الأمر الجامع، إلا على ما كانت عليه أول مرة مجتمعة.

إذا أردنا تسريع اجتماع الأمة، نحتاج إلى التمكين للغة العربية في جميع أقطار الأمة الإسلامية اليوم، بجعل اللغة العربية لغة رسمية في جميع دول المؤتمر الإسلامي أي في جميع دول العالم الإسلامي

التفريق والشرذمة جاءا من مصدرين كبيرين: مصدر تاريخي ولا سيما في القرون المتأخرة، ومصدر معاصر جاء من شمال الكرة الأرضية بالأساس، حيث يقطن الشيطان الأكبر. هذان المصدران هما اللذان صنعا واقع الأمة اليوم :

المعاصر يجرها جرّاً إلى عالم بعيد نهائيا، إلى عالم لا تُشَمُّ فيه رائحة الوحدة، والتاريخي يجرها جرّاً إلى الفرقة والتشتت، يجرها إلى ما لا يجمع كلمة الأمة جمعاء.

فلابد من تدخل العلماء العقلاء على مراحل، لأن ما انهدم عبر قرون، فلا يمكن أن يعود من جديد دفعة واحدة، رغم أن العبارة سهلة وميسرة ومفهومة وهي «لن يصلح آخر هذا الأمر إلا بما صلح به أوله»، إلا أن هذا الإصلاح كما قلت في بداية الكلام يحتاج إلى مجاهدات واجتهادات فردية وجماعية وجهاد عام وجهاد خاص لنستطيع أن نبني الغد الجامع الذي تجتمع عليه الأمة.

وأيضا هذا اللسان العربي هو لسان التراث الجامع، التراث العام الذي يجمع ماليزيا، مع باكستان مع أفغانستان، مع العراق مع المغرب مع السودان، يجمع أكثر من 57 دولة. هذا التراث الجامع أصله مكتوب باللغة العربية، لماذا؟ لأنه لما كانت الأمة في مرحلة المد، تمكنت العربية من الأرض، تمكنت من القلوب، قبل أن تتمكن من الناس، فحين أخلدت الأمة إلى الأرض للأسف بدأ فيها الوهن، وإذ ذاك انطلقت النعرات القومية، وأطلت اللهجات برؤوسها، فتمكنت الفارسية من جديد من الفرس. وتمكنت التركية من الأتراك -ومثلهما غيرهما- وبقي الحرف العربي يستعمل إلى أول القرن الماضي. الآن استطاع الغرب أن يزحزح الحرف العربي عن موقعه، وأحل محله الحرف اللاتيني. ولكن أحسب أن هؤلاء الناس الذين يعودون إلى الله تعالى في تركيا، ولما يمكّن لهم في الأرض سيعيدون الحرف العربي كما كان في اللغة التركية السابقة، قبل أن توزع أوروبا تركة الرجل المريض كما يقال في التاريخ.

ولكون اللغة العربية اللسان الجامع في الدين واللسان الجامع في التاريخ، فهي أيضا لسان الغد الجامع. لا توجد أي جهة من هذه 57 دولة تسمح لدولة أخرى بأن تفرض عليها لهجتها. لكل بلد لهجاته، وتلك اللهجات لا تقبل أن تتنازل للهجات أخرى من دولة أخرى، فكيف تجتمع الأمة؟ بأي لسان يمكن أن تجتمع؟ لن تجتمع إلا بلسان عربي، وبه تقف بين يدي الله، وبه تقرأ الفاتحة، وتقرأ كتاب ربها.

النقطة الخامسة: ضرورة جعل اللسان العربي لغة رسمية في جميع دول منظمة المؤتمر الإسلامي :

فإذن إذا أردنا تسريع اجتماع الأمة، نحتاج إلى التمكين للغة العربية في جميع أقطار الأمة الإسلامية اليوم، بجعل اللغة العربية لغة رسمية في جميع دول المؤتمر الإسلامي أي في جميع دول العالم الإسلامي. هي الآن في بعض الدول التي تتقدم نحوالإسلام، أصبحت اللسان الثاني كحال ماليزيا على سبيل المثال، وتركيا الآن تتقدم أيضا في هذا الاتجاه وعدد من الدول تسير في هذا الاتجاه، لكن لن يكون التأثير المطلوب إلا إذا مكن لهذا اللسان ليس في العالم العربي ولكن في جميع دول العالم الإسلامي. لأن التمكين له يجر معه التمكين للوحدة، ويجر معه التمكين للتراث المشترك، ويجر معه التمكين لما أشرت إليه من قبل، وهوالتمكين لتلك الرؤية المضمنة في هذه اللغة، والمنطق المضمن في هذه اللغة، والثقافة المضمنة في هذه اللغة.

فالله أسأل أن يجمع كلمة هذه الأمة على الأحب إليه والأرضى له، اللهم اجمع كلمة هذه الأمة بفضلك العظيم، والسلام عليكم ورحمته تعالى وبركاته

(*) محاضرة ألقيت بقاعة المجلس العلمي مساء الجمعة 4 رمضان 1432هـ افتتاحا للنشاط المشترك بين المجلس العلمي وجمعية حماية اللغة العربية بفاس.

رسائل على طريق النهوض 2

أحمد طاهر أبوعمر
مدير تحرير مجلة الفرقان الأردنية

يقول الإمام الشافعي: "من تعلّم اللغة رقّ طبعه".

لغتكم العربية مشروع نهضوي عريق ضارب في شعاب التاريخ، تدفعكم إلى مغالبة خصومكم وأعدائكم وتحقيق النصر عليهم، لم لا، وهي منبعثة من صهيل خيلكم، وقعقعة فرسانكم، من رهج السنابك والغبار الأطيب؟!

لم لا، ولغتكم حجة العالِم، ونداء القائد، وعدة الفارس، ووقود الملاحم، وصرخات الرجال، وحكمة الكبار؟!

لا ترموا لغتكم بالعقم فهي ولاّدة .. شدّوا عليها بالنواجذ .. لغتكم كفيلة بفتح أبواب موصدة .. وآفاق مغيّبة .. كفيلة بفتح باب الابتكار والأفكار .. ستقدرون بها على ترتيب المعطيات .. ستُضاف إلى أرصدتكم ثروة غنيّة بالمفردات، وثروة سخيّة بالمعاني والعبرات، وروح شفافة رفّافة تحلق في أعالي الفضاءات .. لغتكم هي حياتكم .. فلا تُتعسوا حياتكم بإهمال لغتكم.

الحاجة إلى إحياء القلوب:

قال تعالى: ﴿أم على قلوبٍ اقفالها﴾(محمد: 24)، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن، كقلب واحد، يصرّفه حيث يشاء" صحيح مسلم.

وقال أبو الدرداء: "روّحوا القلوب ساعة بعد ساعة فإن القلوب إذا كلّت عميت..".

القلوب تقسو فتكون كالحجارة أو أشد قسوة، بل إن من الحجارة لما يشقق فيخرج منه الماء، لكن القلب الذي سدَّ صاحبُه منافذَه أن يصل من خلالها هواء رطب يبلل جدرانه ليضج بالحياة ويضخ الدم في أرجاء الجسم والنفس، هو قلب مقفل جفّ من فرط الخشونة وتشقّق جراء اليبس، فلا يستقبل ولا يرسل.

إن القلب -إخواني وأخواتي - أشرف ما في الإنسان، قال ضياء الدين المقدسي في "مختصر منهاج القاصدين": اعلم أن أشرف ما في الإنسان قلبه، فإنه العالِم بالله، العامل له، الساعي إليه، وإنما الجوارح أتباع وخدام له يستخدمها القلب استخدام الملوك للعبيد. وأكثر الناس جاهلون بقلوبهم، والله يحول بين المرء وقلبه، وحيلولته أن يمنعه من معرفته ومراقبته، فمعرفة القلب وصفاته أصلُ الدين، وأساس طريق السالكين".

القلب يمرض: ﴿في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً﴾(البقرة: 10) قال ابن تيمية: "ومرض القلب نوع فساد يحصل له، يفسد به تصوره وإرادته، فتصوُّره بالشبهات التي تعرض له حتى لا يرى الحق، أو يراه على خلاف ما هو عليه. وإرادته بحيث يبغض الحق النافع ويحب الباطل الضار.

فلهذا يفسَّر (المرض) تارة بالشك والريب، كما القول الكريم السابق، وتارة يفسَّر بشهوة الزنى ﴿فيطمع الذي في قلبه مرض﴾(الأحزاب: 32).

ومرض القلب ألم يحصل في القلب، كالغيظ من عدو استولى عليك ﴿ويشف صدور قوم مؤمنين. ويذهب غيظ قلوبهم﴾(التوبة: 15-14)، فشفاؤهم بزوال ما حصل في قلوبهم من الألم.

والقلب يموت بالجهل المطلق، ويمرض بنوع من الجهل، فله موت ومرض وشفاء، وحياته وموته ومرضه وشفاؤه أعظم من حياة البدن وموته وشفائه، فلهذا، القلب إذا ورد عليه شبهة أو شهوة قوّت مرضه، وإن حصلت له حكمة وموعظة كانت من أسباب صلاحه وشفائه ﴿ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض﴾(الحج: 53)".

والقرآن الكريم هو شفاء ما في القلب من أمراض الشبهات والشهوات .. بالقرآن ينهض القلب وينتشي ويفيق .. يخفق بالآيات .. ويدقّ بالمعاني والكلمات .. صعوداً وهبوطاً، ليناً وحماسة، رقة وقوة..

إن القلب -يا سادة - مستودعُ الأسرار، ومحطُّ الأنظار، الحب ينبثق منه، والشوق هو يحركه، يفيض بمشاعر الود، إنه يريد الحياة إلى الحياة، وإذا ما قسى بالنفس الأمارة بالسوء، وإذا ما جفّ ضرعه بعد الظمأ، فإنه يذبل ويموت، وإذا ما مات، مات صاحبه وانتهى؛ فالقلب هو كل شيء.

لذا قمينٌ بنا أن نعمره بقراءة القرآن، بالتدبر في الآيات، بالتفكر في أسرارها، قال ابن القيم: "قراءة القرآن بالتفكر هي أصل صلاح القلب".

اعمر قلبك بالذكر الدائم لله، اعمره بالعمل الصالح والإنجاز، ليبقى يخفق خفقاناً، ليضخّ الحياة في الجسد الهزيل.

أورد الإمام مسلم عن حنظلة بن حذيم الأسدي قال: "كنا عند رسول الله ﷺ فوعظنا، فذكر النار. قال: ثم جئت إلى البيت فضاحكت الصبيان ولاعبت المرأة، قال: فخرجت فلقيت أبا بكر، فذكرت ذلك له، فقال: وأنا قد فعلت مثل ما تذكر. فلقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: يا رسول الله، نافق حنظلة! فقال: "مه". فحدّثته بالحديث. فقال أبو بكر: وأنا قد فعلت مثل ما فعل. فقال ﷺ : «يا حنظلة ! ساعة وساعة. ولو كانت ما تكون قلوبكم كما تكون عند الذكر، لصافحتكم الملائكة، حتى تسلّم عليكم في الطرق»(صحيح مسلم).

أعْمر قلبك بالخشوع .. ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق﴾(الحديد: 16)؛ فالقلب يذرف دمعه مثلما تذرف الدمعَ العيون .. أبعد عنه أسباب الفساد .. جنّبه أمراض النفوس، تعال عليها، أترضى أن تلوث قلبك بغلٍّ وحسد وحقد وجبن وخسة وكبر وتجبر ؟! .. لله درّك يا فضيل ... -الفضيل بن عياض - كان قبل التوبة لصّاً قاطع طريق .. عاشقاً لجارية .. فاشتاق إليها ليلة وتسلّق دارها .. وبينما هو يتسلق إذ سمع قارئاً يقرأ ﴿ألم ين للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق﴾ فاستثيرت مشاعره، واهتزت جوانحه، وقال: يا رب .. قد آن .. يا رب، قد آن .. اللهم إني تبت إليك.

هذا القلب في جانبه الروحي والمعنوي، أما في جانبه المحسوس فعجب أمره .. هل لكم أن تتصوروا وزن القلب لدى الشخص البالغ؟! إنه لا يزيد عن ثلث كيلو جرام، حجمه في حجم قبضة اليد، ينبض حوالي (70) نبضة في الدقيقة، أو ما يزيد عن مئة ألف مرة في اليوم الواحد، أو قرابة أربعين مليون مرة في العام.

القلب -هذه المضخة العجيبة -تدفع الدم إلى الدماغ في ثمان ثوان فقط، وتدفعه إلى الأقدام في أقصى أطراف الجسم في ثماني عشرة ثانية. وإذا توقف الدم عن الدماغ لأي سبب من الأسباب لمدة دقيقتين أصيب الدماغ إصابة بالغة تؤدي إلى غيبوبة قد يفيق منها صاحبه أو قد لا يفيق، فضلاً عن أن تؤدي إلى مختلف أنواع الشلل وإصابات الدماغ.

وإذا توقفت الدورة الدموية عن الدماغ مدة أربع دقائق فقط، فإن هذا الإنسان يعدّ في عداد الموتى؛ لأن دماغه قد توفي ومات، وبموته يموت.

ألا ترون أن القلب بشقيه المعنوي والمحسوس ينطوي على أهمية كبرى، لا نكاد نفرّق بين هذه الأهمية في جانبها المعنوي أو في جانبها المحسوس، فكأن الجانبين متكاملان، كلاهما يؤديان الدور متضافرين، كأن لا فرق حقيقياً بينهما. فسبحان من خلق هذا القلب وركّبه في أجسامنا! فلنحي قلوبنا بحب خالقها، لترتقي أرواحنا إلى الملأ الأعلى، وأكرم به من حب:

إذا كان حب الهائمين من الورى
بليلى وسلمى يسلب اللبّ والعقلا
فماذا عسى أن يصنع الهائم الذي
سرى قلبه شوقاً إلى الملأ الأعلى؟!

اللهَ اللهَ في قضايا الأمة:

"من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم" .. بلاد المسلمين ذات تاريخ تليد، ضاربةٌ في شعاب المعمورة .. شهدت ميلاد الحياة لما تنفّست الحياة .. حباها الله تعالى بالخيرات والبركات .. وجمّلها الله بفيوض العلم وأنوار الهدى .. فيها نزل قرآن الله تعالى، وفيها هبط الوحي من الله الكريم، ومنها انطلقت مواكب التعمير في الأرض، فأفاقت البشرية كلها على كون يتشكّل، وحياة تنبثق من الموات .. عُمر الكون بكلمة الله، عبر خلفاء الله في أرضه، فكانوا خير مبلّغين عن الله، وكانت كلمة الله هي العليا، لكن الله تعالى خلق الخير والشر، والحق والباطل، فأبى من اقتات على موائد الباطل إلا الزيغ عن الحق، وإلا البغي والعدوان، أراد الله أن يُظهر الحق وقوته وأهله، حين يدخل في صراع مع الباطل وانتفاشه وأهله، فيبتلي جنده، ليستخلص منهم الجديرين ببسط الحق في الأرض، وليميز الله الخبيث من الطيب، فينتصر الحق ساعة، ثم لا يلبث الباطل إلا أن يكسب جولة، وهكذا دواليك..

هذا الباطل -إذن - ماض في طريقه إلى أن تقوم الساعة، احتل بلاد المسلمين، وأفسد فيها، وأهلك الحرث والنسل، ونهب خيراتها.. وفتّتها، حتى ارتفعت أوتاد الفئوية فيها فتمزقت أشتاتاً، وما زال المكر مستمرّاً .. من هنا، وجب على كل مسلم - قدر استطاعته - أن ينهض من كبوته، وسبيل النهضة ميسور .. كلٌّ من موقعه، حسب علمه، حسب عمره، حسب همّته، حسب صحّته، حسب محيطه، يستطيع إنجاز مهمة تسهم في إعادة البعث الإسلامي من جديد .. يضع لبنة فوق لبنة .. ومدماكاً على مدماك .. فتلتقي كلها في دائرة واحدة، في بنيان مرصوص .. كل جُهد يبذل يؤجر المسلم عليه، مهما قلّ أو صغر..

- لا تحقرن صغيرة
إن الجبال من الحصى
- تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسراً
وإذا افترقن تكسرت آحاداً

كل مسلم في بلده يمكن أن يُسمع صرخته لمسلم في بلد آخر -مهما تناءت المسافات - أليس هو شعور الأخوة الإسلامية؟! .. بلى .. إن المسلم حين يشعر بآلام أخيه .. حين يتحسس أحواله .. حين يقدم له الدعم والإسناد في محنته .. هذا مسلم عالميّ الاعتقاد، عالمي الإنسانية، عالمي التوجه والشعور، عالمي القيم والمبادئ، قال العلامة محمد المبارك: "إن الإسلام نقل العرب إلى الطور النهائي من أطوار الأمم، بأن حمّلهم المسؤولية العالمية، فنقلهم من مسؤولية القبلية إلى مسؤولية العالم دفعه واحدة، علماً بأن هذه النقلةَ تحتاج في الأحوال العادية إلى مئات السنين". ألا يكفي قول الله تعالى: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾(الفاتحة: 2) ؟!

يا أخي في الهند أو في المغرب
أنا منك أنت مني أنت بي
لا تسل عن عنصري عن نسبي
إنه الإسلام أمي وأبي

عديدة هي السبل الممكنة لتضميد الجراح: عبر الشعور، عبر المال، عبر الكلمة الجريئة، عبر الدعاء المخلص، عبر وسائل الإعلام، عبر موقع الشغل، عبر الجامعة والمدرسة، عبر المقالة والكتاب، عبر الجهاد إن أمكن، كلٌّ حسب استطاعته وجهده البشري ..

> **وجب على كل مسلم – قدر استطاعته – أن ينهض من كبوته، وسبيل النهضة ميسور.. كلٌّ من موقعه، حسب علمه، حسب عمره، حسب همّته، حسب صحّته، حسب محيطه، يستطيع إنجاز مهمة تسهم في إعادة البعث الإسلامي من جديد .. يضع لبنة فوق لبنة .. ومدماكاً على مدماك .. فتلتقي كلها في دائرة واحدة، في بنيان مرصوص .. كل جُهد يبذل يؤجر المسلم عليه، مهما قلّ أو صغر..**

قسيمة الاشتراك

الاسم الكامل : .....
العنوان الكامل : .....
.....
الاشتراك السنوي (20 عددا) :
■ داخل المغرب : 60 درهما.
■ خارج المغرب : 20 أورو أو مايعادلها.
ترسل الاشتراكات باسم :
■ جريدة المحجة عن طريق الحوالة البريدية.
■ أو **جريدة المحجة** على حساب وكالة البنك الشعبي (الموحدين -فاس) رقم: **2111113412900014**
أما قسيمة الاشتراك والتوصيل فيبعثان إلى مقر الجريدة، على العنوان التالي :
جريدة المحجة (قسم الاشتراك) :
حي عز الله، زنقة 2 رقم 3 - الدكارات
فاس - المغرب

الريادة الاجتماعية

أ. د عبد الكريم بكار

في زمان عاصف وسريع التغيّر كزماننا تشعر المجتمعات بحاجة ماسَّة إلى مَن يخبرها عن حقيقة ما يجري، ويرشدها إلى التصرف والموقف المناسبَيْن له، وأعتقد أن الراسخين في العلم والفكر والثقافة هم المرشَّحون للقيام بذلك.

إن المعرفة تمنح أصحابها سلطة ودرجة من الرّيادة الاجتماعيّة، والثمن الذي يجب أن يدفعه من يصبح رائدًا هو حمل هموم الناس، ومساعدتهم على حلّ مشكلاتهم، لكن السلطة التي يملكها المثقف تشكل تحدّيًا كبيرًا له؛ لأنها تغريه باستغلالها لتحقيق مصالح شخصية على حساب المصلحة العليا للأمة، ولهذا فإننا نجد في كل مجتمعات الأرض حديثًا مريرًا عن أزمة المثقفين وعن خيانتهم لأممهم، ولعلي أسلّط الضوء على ما أعتقد أنه مسؤولية المثقف عبر السطور الآتية:

1- المثقفون ليسوا مسؤولين عن حماية الثقافة فحسب، بل **إن مسؤوليتهم تتسع لتشمل هداية شعوبهم وصوْن مصالح بلادهم،** ومن المؤسف جدًا أن الذين يشعرون بهذه المسؤولية في صفوف المثقفين هم دائمًا قلّة؛ إذ نجد الأكثريّة منشغلين بالتعلّم، والتعليم، والقراءة، والكتابة من غير إدراك لطبيعة الدور العملي الذي يمكن أن تؤديه الثقافة في نهضة الأمة، ولهذا فإن **من الواضح أن المثقفين كثيرون لكن الذين يقومون منهم بمهمات المصلحين قليلون جدًا،** وذلك بسبب غياب الوظيفة النهائية للثقافة عن الوعي، وبسبب الانشغال بكثير من التفاصيل الصغيرة، مما لا يغني ولا يسمن من جوع! وقد صدق من قال: إن كثيرًا من المثقفين يغرقون في شبر من ماء! إنه لا يعادل عظمة المعرفة الواسعة والمتماسكة شيء سوى الوعي بتوظيف تلك المعرفة في إصلاح شؤون الدين والدنيا.

2- لا يخفى أن كثيرًا من الناس مرتبكون في التعامل مع الظروف الجديدة، ومرتبكون في تربية أبنائهم، كما أنهم مرتبكون في ترتيب أولويّاتهم وإجراء الموازنات بين الديني والدنيوي، والعاجل والآجل، والروحي والمادي، والشخصي والعام... وهم ينتظرون من مثقفيهم المساعدة في كل هذا.

المثقف يستطيع القيام بكل ذلك، إذا نزل من برجه العاجي، وعرف على نحو جيّد عمق معاناة الناس من حوله؛ فالثقافة هي المنظار الذي نرى منه كل المشكلات، وإن المثقف هو الذي يملك ذلك المنظار. ولا شك أن المثقف يحتاج إلى شيء آخر في هذا الشأن وهو الإخلاص للرسالة التي ندب نفسه لها؛ إذ إن هناك الكثير من القوى الفاسدة والغاشمة التي تعتاش على آلام الناس، وتلك القوى تملك ذهب المعز وسيفه، وقد أثبتت على مدار التاريخ أنها قادرة على شراء فريق من المثقفين، وقادرة على قهر فريق ثان، وتهميش فريق ثالث، وبما أنه يمكن لنا أن نعبر عن الحقيقة بألف أسلوب، فإن في إمكان كثير من الكتّاب والمثقفين المتاجرة بمعاناة الناس بألف طريقة، ومن هنا فإن **من جملة مهام المثقفين الأحرار إصلاح ما أفسده بعض زملائهم من تصوّرات، وما شوّهوه من إدراك الجماهير.**

3- تتطلب الريادة الاجتماعية من المثقف الحفاظ على الهوية الوطنية وصقلها ونشر الوعي بها، ويتأكد هذا المطلب اليوم بسبب ما نراه من كثافة الوافدات الثقافية الأجنبية والغزو الأخلاقي الناعم، وأعتقد أن الالتزام بالإسلام عقيدة وشريعة وسلوكًا هو ما يمنح الخصوصية للمجتمعات الإسلامية، والبديل عنه لن يكون سوى رؤى مختلطة ومشوّشة وسوى نزوع إلى (القُطرية) وأدبياتها الضيقة وغير الجذابة. هذه المهمة تتطلب من المثقف درجة حسنة من الفهم لروح الشريعة الغرّاء ومقاصدها ورؤيتها في إصلاح العباد والبلاد.

4- لا يستطيع المثقف أداء حقوق الريادة من غير تحليل عميق للواقع، والكشف عما فيه من فرص وإمكانات وتحدّيات.. مع الحرص على إرشاد الناس إلى كيفية التعامل مع كل ذلك. **إن النقد الاجتماعي هو الذي يرتقي بالعالم إلى درجة مفكر، وإن من مهمات المفكرين تمليك الناس رؤية واضحة للمستقبل الذي عليهم أن يعملوا من أجله،** وأعتقد أن ذلك يتطلب نوعًا من الثقة بالجماهير وقدرتها على صنع التغيير، ومن الواضح أن ما جرى ويجري في العديد من البلدان العربية يؤكد جدارة المواطن العربي بتلك الثقة.

لن يتحقق أي شيء مما أشرنا إليه ما لم يتخلص المثقف من النزعة العدمية ومن التشاؤم الذي صبغ طروحات كثير من المثقفين حتى قال أحدهم: إن المثقف هو الكائن الوحيد الذي وُلد باكيًا، ويظل مدى حياته شاكيًا!

دائمًا هناك فرصة لعمل شيء أفضل، وعلينا اكتشاف تلك الفرصة ونشر الوعي بها...

أزمة التربية في مجتمعنا

ذ. محمد بوهو

تقديم:

لا أحسب أن هناك موضوعاً يشغل لبّ جل الآباء والأمهات مثل التربية في هذا الزمن الذي رُزئت فيه الأمة بأبشع إفرازات الحضارة الغربية، ولذلك فليس في تقديري أنه من التهويل والمبالغة أن نصف حالنا مع التربية بأنه أزمة تربوية حقيقية!

ليس هناك شك في أن المجتمع بكافة شرائحه وطبقاته مسؤول عن تربية أبنائه، وأنه يتحمل تبعات تلك التربية، وأنه كذلك المستفيد الأول من نجاحه في تربيتهم وأنه -في الوقت نفسه- الخاسر الأكبر من إخفاقهم. ولكن ما هو المجتمع؟ وكيف نمسك بزمام المسؤولية المهملة في تبعات المجتمع المعاصر لنلقي باللائمة على من قصّر في دوره تجاه التربية؟

البحث عن إجابة لمثل هذا السؤال سيقودنا حتما إلى الدخول في حلقة مفرغة؛ حيث إن البيت والشارع والمسجد والمدرسة والإعلام، بل والدولة بكافة قطاعاتها تشترك في المسؤولية، وتتحمل التقصير الناتج عن ضعف القيام بمهامها، ولكن كل طرف يلقي بالمسؤولية الكبرى عن الإخفاق أو التقصير على الأطراف الأخرى. وهذا في تقديري هو جوهر أزمتنا التربوية!

بعض من ملامح أزمة التربية في مجتمعاتنا:

لو أردنا الوقوف عند ملامح هذه الأزمة لقلنا:

- **أولا** إن مجتمعاتنا العربية والإسلامية تعاني من إشكالية مترسخة ساهمت المتغيرات الحديثة في جعلها سمة لبعض المجتمعات التي صاغت -ربما دون وعي منها- منظومتها الاجتماعية وفقاً لتلك المتغيرات، ونتج عن ذلك مزيج متهالك أنتج بناءً ثقافياً وفكرياً وأخلاقياً هزيلاً لا يستطيع الصمود أمام تحدّياته المحلية، فضلاً عن التحديات العالمية الكبرى..

- **ثانيا** ضعف القدرة على استشعار المسؤوليات الملقاة على عواتقنا، بل وانعدام الرغبة في ذلك. وبهذا أصبح كثير من أفراد مجتمعاتنا يجيدون فناً قلّما يتقنه غيرهم، ألا وهو تبرير التقصير وإلقاء اللوم في ذلك على الآخرين!.. هذه الحالة النفسية التي تكوّنت في العقل الجمعي ثم تجذّرت بعد بضعة عقود من الإهمال التربوي تتزايد حدّتها اليوم، وهي ناتجة عن ظروف مختلفة ومتجدّدة لم تحظ باهتمام تربوي كاف على المستوى التطبيقي. ربما يكون الجانب التنظيري لهذه القضية شغل كثيرين عن نقل تلك المهمة إلى حيز التنفيذ ابتداء من الأسرة وانتهاء بالمؤسسات التعليمية العليا..

ولكوني لست متفائلاً بأن توكل مثل هذه المهمات الحيوية إلى مؤسسات ضعيفة الصلة بأبنائنا وبناتنا في هذا الزمن المتأزم بالمتغيرات لتتولى المسؤولية وحدها -أقول وحدها!- فإني أرى أن نستثمر بجدية في برامج التربية المنزلية التي يقوم عليها الآباء والأمهات، وربما الأقارب وذلك قصد تحقيق أهدافنا المنشودة..

من المعلوم أن الأسرة هي حلقة مركزية في تماسك نظام الاجتماع الإسلامي، ولأهميتها الفائقة، ووظيفتها الحساسة، شرع الإسلام قوانين تفصيلية دقيقة تنظم كافة العلاقات في داخلها. كما أن غياب الأسرة -أي تفكك علاقات التماسك في داخلها- يؤدي إلى خلخلة هذا النظام، والتجربة الغربية المعاصرة خير شاهد على هذا الأمر..

إن نتائج التربية المنزلية التي نباشرها بأنفسنا آباءً وأمهات سوف تكون -بإذن الله تعالى- اللبنة الأولى وحجر الأساس لتفعيل بقية قطاعات المجتمع ليُبنى عليها ما يمكن أن يكون برنامجاً تربوياً متكاملاً، لاسيما في ظل تزايد المسؤوليات التربوية التي تضطلع بها القطاعات التربوية خارج نطاق المنزل والأسرة. وضعف القيام بهذه المسؤولية -في تقديري- هو مكمن الخلل الذي نشأت عنه أزمتنا التربوية المعاصرة التي جعلت بعض المؤثرات التي يتعرض لها أبناؤنا لفترة قصيرة تجرّهم إلى الهاوية بشكل يشابه فعل السحر فيهم.

- **ثالثا** التخلص من الموروث التربوي الخاطئ، و"الثورة" على الأنماط التربوية غير السليمة: لا يكفي أن تكون الرغبة صادقة في تربية أبناء صالحين ما لم يكن الآباء والأمهات على وعي بالمسؤولية الملقاة على عواتقهم وأهمية استجابتهم لمتطلبات التربية الصحيحة والصالحة؛ إذ إن كثيراً منهم يربي أبناءه بالطريقة نفسها التي ربّاه بها والداه ولو كانت خاطئة. فبعضهم تربّى على الضرب والقسوة وربما التهديد بالطرد من المنزل، وكان هذا الأسلوب مجدياً معه في زمن لم يكن أصحاب السوء مستعدين لتلقّفه وجره معهم إلى مهالك أعظم وأطم، كما هو الحال الآن!.. لذلك فإن الخطوة الأولى التي ينبغي أن نتجرأ على القيام بها هي التخلص من الموروث التربوي غير الصحيح وغير المناسب، و"الثورة" على الأنماط التربوية الشائعة شيوعا غير صحيح ولا سليم والتي لا تكرس إلا التمرد والعصيان والحقد والكراهية والعنف المضاد، أو تكرس -ربما كردة فعل على الأولى- الكسل والاتكالية، ونستبدل بها أنماطاً تشجع على الإيمان بالله والسلوك القويم القائم على التعاون والطاعة والثقة بالنفس والمبادرة. وهذه "الثورة" ليس لها مكان إلا دواخل أنفسنا، حيث ننظر في أخطائنا بمنظار صاف وصادق يرتجي الناظر من خلاله تشخيص الخطأ، ثم الاعتراف به، ثم البحث عن ناجع علاج له.

خلاصة:

إن برامج التربية المنزلية ينبغي أن تنبع القناعة بها قبل أن تُطبق، وهذه القضية بحاجة إلى أن تكون من هموم الآباء والأمهات على اختلاف مستوياتهم لا يغفلون عنها حتى نستطيع الخروج من النفق المظلم الذي دخلناه ثم اعتقدنا أنه العالم الذي لا يمكن تغييره..

ولعل الله تعالى أن ييسر من أهل العلم والتجربة والحماس من يساهم في وضع لبنات عملية أصيلة تساهم في تأسيس برامج التربية المنزلية، أو برامج التربية داخل الأسرة، التي نؤمل عليها توجيه الأمة نحو المستوى الذي تطمح في الوصول إليه في وقت هي بأمس الحاجة إلى مقاومة المؤثرات التي تكتسحها دون هوادة؛ فهذه المهمة أكبر من أن يتناولها فرد أو مؤسسة بمفردها؛ إذ لا بد من تكاثف الجهود وتصحيح بعضها بعضاً عند وقوع بعض الأخطاء التي لابد من وجودها في مشروع ضخم بهذا الحجم..

إن الأسرة هي جوهر نظام المناعة في المجتمع، والتربية داخل هذه المؤسسة هي مركز ومنطلق التغيير الحضاري المنشود والباب الأول الذي يجب على دعاة الإصلاح أن يدخلوا منه قبل غيره من الأبواب الأخرى! الأسرة بنظام القيم والعلاقات بين الآباء والأبناء والحلال والحرام في داخلها ودور المرأة ورسالتها في التربية والرعاية.. هي أساس تماسك الاجتماع الإسلامي وهي ما ينبغي التشدد في المحافظة عليه، ويجب ألا يسمح باختراقه تحت أي ذريعة أو مبررات.. ولهذا نقول أنه لن تقوم للمجتمع قائمة إذا كانت الأسرة فيه منحلة وغير قائمة المعالم والأُسس على تقوى من الله ورضوان..

نافذة المرأة المسلمة

أوراق شاهدة

ذة. فوزية حجبي
al.abira@hotmail.com

أولئك الذين يطيلون أمد استقواء الزبد

في تحليله لموجة الإعصار الذي يرج منطقة العالم العربي ويغرقها بالهبات والاحتجاجات، قال عالم الاجتماع الفرنسي "إدغار موران" في تحليله لهذه الموجة بجريدة لوموند الفرنسية، إن هذه الموجة مدينة للأفكار الديمقراطية التي ظهرت في أوربا ولكنها في المقابل ليست مدينة للديمقراطيات الغربية. وهو الربط التعسفي الذي دأبت المركزيات الثقافية الغربية على حشره في كل خلاصاتها حول أي حراك عربي كيفما كانت مواصفاته، ليظل الإنسان العربي مرتهنا لهذا الغرب إزاء أية محاولة يقوم بها لاسترجاع آدميته وهويته الضاربة الجذور في عمق التاريخ، وقبل أن ينجز الغرب قفزته الحضارية المشبوهة.

وبصيغة أخرى فانتفاضات الشعوب العربية حسب موران هي نتيجة طبيعية للتشبع بالفكر الديمقراطي الذي تمخض عن الصراعات الغربية ضد الإقطاع وتجلياته الاستبدادية، وكأن كل الذين يحرقون أنفسهم في الساحات العامة ببلاد العرب حتى لحظة كتابة هذه السطور من مرارة "الحكرة" شربوا القهوة مع جان جاك روسو أو فولتير أو ميرابو، من رموز الثورة الفرنسية على سبيل الذكر.

من جهة أخرى، يلاحظ المتتبع لمجريات الأحداث على مستوى العالم العربي في طبعتها الجديدة الحافلة بالانتفاضات أن هناك صمتا مريبا يكتنف طبيعة هذه الثورات على المستوى الديني، حتى من لدن الحركة الإسلامية التي لا تكاد إلا في إشارات مبهمة، تعرض إلى أمر الله في هذه الثورات، وهي الثورات التي تحتكم في حركتها وسكونها إلى كتاب الله عز وجل الشامل لما كان وسيكون حتى تقوم الساعة.

عن علي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : «ستكون فتن، قلت : وما المخرج منها؟ قال : كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم».

وتاريخ الأمم البائدة المذكورة في القرآن الكريم يفصل في سقوط هذه الأمم ودواعيه وطريق النجاة منه. فكيف يضمر الخطاب الديني في هذا المجال.،ولا تنظم ندوات ولقاءات وطنية ودولية وحشد لأهل الدعوة ورموز وقادة الشأن الديني لبيان إعجاز كتاب الله عز وجل في حراك الحضارات بعرض الدليل والبرهان من كتاب الله وسنة نبيه، مع التأكيد على البعد الأخلاقي الديني الغائب في سياسة الحكام وحتى المحكومين فيما بينهم، مما يعجل بنزول قضاء الله التقويمي كما عرفته الأمم السابقة. قال تعالى: ﴿يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم﴾ وعلى سبيل الذكر مرة أخرى، نجد مفكرا وداعية كحفيدالزعيم الإسلامي حسن البنا، طارق رمضان ينفي عن هذه الثورات مسحتها الإسلامية في أكثريتها المنتفضة، المحتضنة لكل الحساسيات، لينضاف هذا التحرج من إرجاع حراك الثورات العربية إلى الأمر الرباني وإلى النبض والنفخة الربانية الرافضة بالفطرة للظلم والجور، إلى الهرج الغربي المذعور من احتمال انجلاء هذا الإعصار العربي عن الربيع الإسلامي المرتقب، ويشكلان بالتالي رفقة الضجيج العلماني جدارا عازلا في مواجهة المولود الإسلامي الذي تتشكل ملامحه ضافرة برحم الدماء والأشلاء والمعاناة، ومن داخل مختبر التصفية قبل التحلية.

وإذا كانت الحركة الإسلامية، تبدي غير قليل من الحرص والكياسة في عدم تبنيها لهذا الإعصار، تجنبا لموجة العداء العلماني المتربصة من الداخل لنبض الجماهير العربية ونداء جذورها، وخوفا على هذه الهبات من تشويه مطالبها وتعريضها للتدخل الغربي المتحفز للانقضاض على الأمة العربية في كل لحظة خاصة حين يتعلق الأمر (بالبعبع الإسلامي)، فإن هذه الكياسة وهذا الاحتشام في تبني هذه الهبات ولد على مستوى العالم العربي كما هائلا من الاحتشاد العلماني، أطلت معه رؤوس فتنة جد خطيرة على مستوى أفكارها وبرامجها وقاعدة انطلاقها.

وأكثر من أي وقت مضى تطالعنا على مستوى الكثير من المواقع الإلكترونية كتابات لمفكرين عرب تجاوزت جرعة الاجتراء على الثوابت الإسلامية إلى الغزل الصريح التكسبي لود الغرب بل ودعوته بكل وضوح إلى التدخل لإنهاء الإمبريالية الإسلامية واستنقاذ العباد من الهجمة الثانية للمسلمين بعد هجمتهم الأولى مع نبيهم محمد ﷺ هكذا يتحدثون عن المصطفى رضي الله عنه.

وماتناقلته وكالات الأنباء العالمية عن تسريبات ويكيليكس حول جملة اتصالات لناشطين أمازيغيين بدوائر القرار الأمريكية لدفعها إلى التدخل في الشأن المغربي منعا للهيمنة العربية، متذرعين بفرية بلهاء مفادها أن أغلبية الأمازيغ الذين يدينون بدين الإسلام إنما هم يفعلون ذلك جبرا وقهرا لا قناعة وعقيدة راسخة، لما يبعث على القلق إذ بإشهار هذه الفزاعات الوهمية التي يكذبها تاريخ تشبث الأمازيغ بالدين الإسلامي، يضعون البلاد والعباد في وضعية هشاشة خطيرة النتائج ولا يمكن التكهن بمآلاتها إلا على ضوء مايحدث في ليبيا على سبيل المثال حيث يلعب الفيلسوف الفرنسي برنارد هنري ليفي المعروف بنزعته الصهيونية وعدائه الصريح للإسلام دور الوسيط بين الثوار وحلف الناتو لإحكام القبضة على الثورة وإجهاض نفسها الإسلامي الصريح.

ولأن الشيء بالشيء يذكر ففي الأيام القليلة الماضية عرض موقع يوتوب مرافعة لإحدى ناشطات حركة 20 فبراير اتسمت بقوة اللهجة والأسلوب الفرنسي المتقن أمام جمهور من المثقفين الغربيين ضد أحد الحقوقيين المغاربة، وقد انتزعت المتدخلة بهذه المرافعة الإعجاب والتصفيق الحاد للحاضرين الغربيين. وإذا عرف السبب بطل العجب، فقد اجترأت هذه السيدة على الخالق سبحانه برفضها لمدونة أسرة لا تمنحها المساواة في الإرث والحق لبنات جنسها في التمتع بأمومة بلا زواج ودون حسيب.وأعلنت على الهواء مباشرة إلحادها، وأتمت مرافعتها بسباب واضح صفيق،فادح الجرأة في الوقاحة موجه لملك البلاد معتبرة إياه نسخة من الرئيس التونسي بنعلي..

وقبلها وفي سياق استهوان المقدسات، جرجر سفلة آخرون صحابة رسول الله ﷺ، واعتبروهم جملة مخمورين ودمويين وحسيين، وما يحصل من اجتراء واستقواء بأعداء الأمة هو بلا شك مجرد زبد سيذهب جفاء لكن الزبد قد يطول زمن علوه إذا كان التيار الجارف للصادقين ضعيفا يكاد يشابه الزبد في تهافته إن لم يكن هو الآخر زبدا؟؟.

ودعوني في النهاية أسوق هذا الخبر المختزل للسلوكات " الزبدية " من أرض الكنانة والذي يقول أن مئات من الشباب المصري دشنوا حملة على صفحات المواقع الاجتماعية من أجل التبول على الجدار الجديد للسفارة الإسرائيلية بالقاهرة.

ألم يجد شباب الأرض المباركة مصر وهم الفرسان الشجعان في إسقاط سفاح غزة مبارك إلا البول لإشاعة القذارة في بلاد الأحرار، بلادهم، في حين تمضي إسرائيل في مشاريعها الصهيونية الناجعة، والجدية لتدمير العالم العربي بالواضح والمرموز، وهي تدلي لسانها لهم بل لنا جميعا وتقول لنا كما جاء في المثل المغربي (ماهم الذئب ضراط النعجة).

أليست هذه العبثية هي التي تطيل أمد استقواء الزبد؟؟

آيبون... تائبون!

ذة. نبيلة عزوزي

23– تخبط

هي مجرد نسبة قليلة... فوائد سيؤديها أقساطا...!

استدان للبيت.. وللسيارة.. وللأثاث... عمليات سهلة، وتسهيلات مدهشة!

لكن فرحته كانت مجرد زيف، ستنقلب كابوسا مروعا، يقض مضجعه.. وهو غارق في يم الديون الربوية.. فقد كل إحساس بمباهج الحياة، فكل همه : كيف يسدد تلك الديون؟!

لم يعد يفكر في حياته، ولا في مستقبل أبنائه.. أضحى مشوش البال، يتحرك كجثة، غير مبال بالعالم من حوله.. اتسعت الهوة بينه وبين أسرته الصغيرة.. تشعبت الخلافات بينه وبين زوجه.. فأصبح يهرب من البيت، ومن مسؤولياته.. يهيم على وجهه بين الأزقة والشوارع..!

وما إن أكمل تسديد ديون السيارة، حتى اكتشف أنها لم تعد صالحة للاستعمال وعليه أن يقتني أخرى.. وما إن أشرف على تسديد ديون الأثاث، حتى أخبرته زوجته أن الآلات الكهربائية صدئت، وجلها في عطب دائم، وعليه أيضا اقتناء أخرى... أما أقساط البيت فأثقل من الجبال، ستستغرق سنين من عمره إن طال.. والأدهى من ذلك أن تلك الديون تلتهم الضروري من حقوق أبنائه من تعليم وتطبيب...!

فكر طويلا وهو يتأمل كلام الله عز وجل حول الربا.. وللنجاة من تلك الدوامة المهلكة، باع البيت ليسدد ما عليه من أقساط. وينفق على تعليم عياله.. وحين أشار عليه بعض أصدقائه باقتناء بيت آخر بقرض ربوي.. أجاب : كفى... فقد تخبطت طويلا كما يتخبط الشيطان.. وعرفت فلزمت.. بعد أن جربت القروض الربوية.. وعرفت لماذا حرم الله الربا.. فتوبة.. توبة.. توبة!!

تعزية

انتقل إلى عفو الله ورحمته السيد الهاشمي الهلالي بتاريخ 15 رمضان 1432هـ الموافق لـ16غشت 2011م والد أخينا الأستاذ الدكتور عبد الله الهلالي.

وبهذه المناسبة الأليمة تتقدم جريدة **المحجة** إلى أخينا الأستاذ عبد الله الهلالي وسائر أسرة الفقيد، بأحر التعازي والمواساة سائلين الله جل وعلا أن يقابل الفقيد بعفوه وغفرانه ويسكنه فسيح جنانه ويمتعه برضوانه، ويرزق ذويه الصبر والاحتساب، ويلحقنا به مسلمين تائبين طائعين.

و﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾

نافذة على التراث

إعداد : الدكتور عبد الرحيم الرحموني

وقفة لغوية

■**الرشد :** رجل راشد ورشيد وفيه رُشد ورَشد ورشاد، وقد رشد يرشد، واسترشدته فأرشدني. وأخذ في سبيل الرشاد. وهو يمشي على الطريق الأسدّ الأرشد. وتقول للمسافر: راشداً مهدياً، ولمن يقول أريد أن أفعل كذا: رشدت ورشد أمرك. ولا يعمى عليك الرشد إذا أصاب وجه الأمر. وهو يهدي إلى المراشد.

■**الرشى :** رشّ عليه الماء. ورش البيت، ومكان مرشوش. ورشت السماء وأرشّت. وأصابنا رش من مطر. وترشش عليه الماء، وأصابه رشاش منه. ورش الحائك النسج بالمرشة. وأرشت الطعنة، وطعنة مرشة، ولها رشاش من الدم. وأرشّ فرسه إرشاشاً: عرّقه بالركض.

● أساس البلاغة للزمخشري

أقوال حكيمة

جزعك في مصيبة صديقك أحسن من صبرك، وصبرك في مصيبتك أحسن من جزعك.

كل مصيبة لم يذهب فرح ثوابها حزنها فهي المصيبة العظمى.

دخل عمرو بن العاص على معاوية في مرضه، فقال: أعائداً جئت أم شامتاً؟ فقال عمرو: لم تقول هذا؟ فوالله ما كلفتني رهقاً، ولا أصعدتني زلقاً، ولا جرعتني علقاً، فلم استثقل حياتك؟ ولم استبطئ وفاتك؟ فقال معاوية:

فهل من خالد إما هلكنا
وهل بالموت يا للناس عار

● ربيع الأبرار للزمخشري

"أما بعد" وما جاء فيها

قال الصولي: حدثنا زياد بن الخليل، قال: حدثنا إبراهيم بن ...عن أبي سلمة، قال: "أول من قال أما بعد كعب بن لؤي. وكان أول من سمى الجمعة وكانت تسمى العروبة".

ويروى أن أول من قال: أما بعد، داود النبي عليه السلام وأن ذلك فصل الخطاب، الذي قال الله عز وجل: "وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب".

وقال الشعبي: فصل الخطاب الذي أعطيه داود عليه السلام: أما بعد. فمعنى فصل الخطاب، على هذا، أنه إنما يكون بعد حمد الله، أو بعد الدعاء، أو بعد قولهم: من فلان إلى فلان، فينفصل بها بين الخطاب المتقدم وبين الخطاب الذي يجيء بعد. ولا تقع إلا ما ذكرناه.

وروي عن النبي ﷺ أنه كتب إلى بني أسد: "بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى بني أسد. سلام عليكم، فإني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو. أما بعد فلا تقرين مياه طي ولا أرضهم فإنه لا يحل لكم".

فإذا كتب كاتب: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فقد كان كذا وكذا، فمعناه: أما بعد قولنا بسم الله، فقد كان كذا وكذا وأنه قد كان. فإنها لا تقع إلا بعد ما ذكرناه.

ولابد من مجيء الفاء بعد أما لأن أما لا عمل لها إلا اقتضاء الفاء واكتسابها، فإن الفاء تصل بعض الكلام ببعض، وصلاً لا انفصال بينه ولا مهلة فيه. ولما كانت أما فاصلة، أتيت بالفاء لترد الكلام على أوله. وليست تدل الفاء على تأخير متقدم، ولا تقديم مؤخر، ولا يستوي معناهما فيها ولا معها.

● أدب الكتاب لأبي بكر الصولي

أقوال في العلم والعمل

قال إبراهيم بن أدهم رحمه الله: مررت بحجر بمكة مكتوب عليه: اقلبني تعتبر. فقلبته فإذا عليه مكتوب أنت بما تعلم لا تعمل، فكيف تطلب علم ما لم تعلم؟

وقال رحمه الله: لقد أعربنا في كلامنا فلم نلحن ولحنا في أعمالنا فلم نعرب.

وقال ابن السماك رحمه الله: كم من مذكر بالله ناس لله! وكم من مخوف بالله جريء على الله: وكم من مقرب إلى الله بعيد من الله! وكم من داع إلى الله فار من الله! وكم من تال كتاب الله منسلخ عن آيات الله!

وقال الأوزاعي رحمه الله: إذا جاء الإعراب ذهب الخشوع.

وروى مكحول عن عبد الرحمن بن غنم أنه قال: حدثني عشرة من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا، كنا ندرس العلم في مسجد قباء إذ خرج علينا رسول الله ﷺ فقال "تعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله حتى تعملوا".

وقال عيسى عليه السلام: مثل الذي يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل امرأة زنت في السر فحملت، فظهر حملها فافتضحت، فكذلك من لا يعمل بعلمه يفضحه الله تعالى يوم القيامة على رؤوس الأشهاد.

وقال معاذ رحمه الله: احذروا زلة العالم لأن قدره عند الخلق عظيم فيتبعونه على زلته.

وقال عمر رضي الله عنه : إذا زل العالِم زل بزلته عالَم من الخلق.

وقال رضي الله عنه: ثلاث بهن ينهدم الزمان إحداهن زلة العالم.

وقال ابن مسعود: سيأتي على الناس زمان تملح فيه عذوبة القلوب، فلا ينتفع بالعلم يومئذ عالمه ولا متعلمه، فتكون قلوب علمائهم مثل السباخ من ذوات الملح، ينزل عليها قطر السماء فلا يوجد لها عذوبة، وذلك إذا مالت قلوب العلماء إلى حب الدنيا وإيثارها على الآخرة، فعند ذلك يسلبها الله تعالى ينابيع الحكمة، ويطفىء مصابيح الهدى من قلوبهم، فيخبرك عالمهم حين تلقاه أنه يخشى الله بلسانه، والفجور ظاهر في عمله. فما أخصب الألسن يومئذ وما أجدب القلوب! فوا الله الذي لا إله إلا هو ما ذلك إلا لأن المعلمين علموا لغير الله تعالى والمتعلمين تعلموا لغير الله تعالى.

وفي التوراة والإنجيل مكتوب: لا تطلبوا علم ما لم تعلموا حتى تعملوا بما علمتم.

وقال حذيفة رضي الله عنه : إنكم في زمان من ترك فيه عشر ما يعلم هلك، وسيأتي زمان من عمل فيه بعشر ما يعلم نجا وذلك لكثرة البطالين. واعلم أن مثل العالم مثل القاضي، وقد قال ﷺ "القضاة ثلاثة: قاض قضى بالحق، وهو يعلم، فذلك في الجنة. وقاض قضى بالجور، وهو يعلم أو لا يعلم، فهو في النار. وقاض قضى بغير ما أمر الله به فهو في النار".

وقال كعب رحمه الله: يكون في آخر الزمان علماء يزهدون الناس في الدنيا ولا يزهدون، ويخوفون الناس ولا يخافون، وينهون عن غشيان الولاة ويأتونهم، ويؤثرون الدنيا على الآخرة يأكلون بألسنتهم، يقربون الأغنياء دون الفقراء، يتغايرون على العلم كما تتغاير النساء على الرجال؛ يغضب أحدهم على جليسه إذا جالس غيره، أولئك الجبارون أعداء الرحمن.

وقال ﷺ "إن الشيطان ربما يسوفكم بالعلم، فقيل: يا رسول الله وكيف ذلك؟ قال ﷺ: "يقول اطلب العلم ولا تعمل حتى تعلم، فلا يزال للعلم قائلاً وللعمل مسوفاً حتى يموت وما عمل".

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: "ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم الخشية" وقال الحسن: تعلموا ما شئتم أن تعلموا فوالله لا يأجركم الله حتى تعملوا فإن السفهاء همتهم الرواية والعلماء همتهم الرعاية.

وقال مالك رحمه الله: إن طلب العلم لحسن وإن نشره لحسن إذا صحت فيه النية ولكن انظر ما يلزمك من حين تصبح إلى حين تمسي فلا تؤثرن عليه شيئاً. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: أُنزل القرآن ليعمل به فاتخذتم دراسته عملاً، وسيأتي قوم يثقفونه مثل القناة ليسوا بخياركم ،والعالم الذي لا يعمل كالمريض الذي يصف الدواء، وكالجائع الذي يصف لذائذ الأطعمة ولا يجدها. وفي مثله قوله تعالى "ولكم الويل مما تصفون" وفي الخبر "إنما أخاف على أمتي زلة عالم وجدال منافق في القرآن"

● إحياء علوم الدين الغزالي

كلمات بليغة في التأبين والتعزية

أبّنت الخنساء أخاها، فقالت: لقد كان كريم الجدين، واضح الخدين، يأكل ما وجد، ولا يسأل عما فقد.

عزى رجل فتى عن أبيه فلم يجده كما أحب، فقال: يا بني، سوء الخلف أضر علينا من فقد السلف.

عزى محمد بن الوليد بن عتبة عمر بن عبد العزيز بابنه عبد الملك، فقال: يا أمير المؤمنين لو أن امرءً تركت تعزيته لعلمه وتيقظه لكنته، ولكن الله قضى أن الذكرى تنفع المؤمنين.

عزى رجل الرشيد، فقال: آجرك الله على الباقي، ومتعك بالفاني. فقال: ويحك ما تقول؟ وظن أنه غلط، فقال: ما عندكم ينفد وما عند الله باق.

● ربيع الأبرار للزمخشري

مواقف ومقالات طريفة

دخل ابن الجصاص على أبي إسحاق الزجاج بعد وفاته أمه ضاحكاً وهو يقول: الحمد لله يا أبا إسحاق قد والله سرني. فدهش الناس، فقال: بلغني أنه هو الذي، فلما صح أنها هي التي سرني. فضحكوا.

اعتلت امرأة ابن مضاء الرازي، فقالت: ويلك، كيف تعمل إن مت؟ فقال: ويلي، كيف أعمل إن لم تموتي؟

وَبِئت (من الوباء) خَيْبَر فخرج إليها أعرابي بعياله وقال:

؟قلت لحمى خيبر استعدي
هاك عيالي فاجهدي وجدي
وباكري بصالب وورد
أعانك الله على ذا الجند

فحُمّ ومات، وبقي عياله.

● ربيع الأبرار للزمخشري

عهد أبي بكر في آخر حياته لعمر رضي الله عنهما

وعهد عند موته فكتب: هذا ما عهد أبو بكر خليفة محمد رسول الله ﷺ عند آخر عهده بالدنيا، وأول عهده بالآخرة، في الحال التي يؤمن فيها الكافر، ويتقي فيها الفاجر. إني استعملت عليكم عمر بن الخطاب، فإن برّ وعدل فذاك علمي به، ورأيي فيه، وإن جار وبدل فلا علم لي بالغيب، والخير أردت ولكل امرئ ما اكتسب من الإثم، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

ومن أقواله بعهد هذا العهد رضي الله عنه

روي عن عبد الرحمن بن عوف أنه قال: دخلت عليه (أي على أبي بكر) في علته التي مات فيها، فقلت: أراك بارئاً يا خليفة رسول الله. فقال: أما إني على ذلك لشديد الوجع، ولما لقيت منكم يا معشر المهاجرين أشد عليّ من وجعي، إني وليت أموركم خيركم في نفسي، فكلكم ورم أنفه أن يكون له الأمر من دونه. والله لتتخذن نضائد الديباج وستور الحرير، ولتألمن النوم على الصوف الأذربي ما يألم أحدكم النوم على حسك السعدان. والذي نفسي بيده لأن يقدم أحدكم فتضرب عنقه في غير حق خير له من أن يخوض غمرات الدنيا.

فقلت: خفّض عليك يا خليفة رسول الله ﷺ فإن هذا يهيضك إلى ما بك، فوالله ما زلت صالحاً مصلحاً لا تأسى على شيء فاتك من أمر الدنيا، ولقد تخليت بالأمر وحدك فما رأيت إلا خيراً.

● نثر الدر للآبي

أشقى الناس بأموالهم البخلاء

قال الحسن البصري: لم أر أشقى بماله من البخيل، لأنه في الدنيا يهتم بجمعه، وفي الآخرة يحاسب على منعه، غير آمن في الدنيا من همه، ولا ناج في الآخرة من إثمه، عيشه في الدنيا عيش الفقراء، وحسابه في الآخرة حساب الأغنياء.

ودخل رحمه الله على عبد الله بن الأهتم يعوده في مرضه، فرآه يصعد بصره ويصوبه إلى صندوق في بيته، ثم التفت إليه، فقال: يا أبا سعيد، ما تقول في مائة ألف دينار في هذا الصندوق لم أؤد منها زكاةً ولم أصل بها رحماً؟ فقال له: ثكلتك أمك! ولم كنت تجمعها؟ قال لروعة الزمان، وجفوة السلطان، وتكاثر العشيرة. ثم مات، فشهده الحسن، فلما فرغ من دفنه، ضرب بيده على القبر، ثم قال: انظروا إلى هذا، أتاه شيطانه فخوفه روعة زمانه، وجفوة سلطانه، بما استودعه الله إياه، وعمره فيه. انظروا إليه كيف خرج مذموما مدحورا! ثم التفت إلى وارثه، فقال: أيها الوارث لا تخدعن كما خدع صويحبك بالأمس، أتاك هذا المال حلالا، فلا يكونن عليك وبالا، أتاك عفوا صفوا، ممن كان له جموعا منوعا، من باطل جمعه، ومن حق منعه، قطع فيه لجج البحار، ومفاوز القفار، ولم تكدح لك فيه عينٌ ولم يعرق لك فيه جبين، إن يوم القيامة يوم ذو حسرات، وإن من أعظم الحسرات غدا، أن ترى مالك في ميزان غيرك، فيالها حسرة لا تقال، وتوبة لا تنال.

● نهاية الأرب للنويري

استعمالات اللغة العربية الجديدة إلى أين؟

13— الاستعمالات الخاطئة تفقد اللغة قيمتها التعبيرية :

معاول الهدم تتظافر منذ زمان على النيل من لغة القرآن

هل نستسلم لدعاة العامية؟! 3

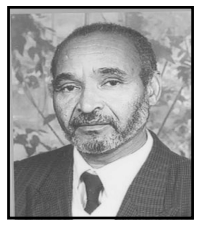

د. الحسين گنوان

نعرض في هذه الحلقة آخر ما بقي من الفصل الأول من كتاب "العربية الصحيحة" للدكتور أحمد مختار عمر الذي وضع له عنوان "هل نستسلم لدعاة العامية". فبعد أن أشار المؤلف إلى أن دعاة العامية يعتمدون على مجموعة من التعليلات الواهية، أو المقاصد المغرضة، ختم هذا الفصل بنقطتين هامتين وخاتمة وفي هذا يقول :

8- ومن الأوهام التي يرددها الدعاة كذلك (ويعني دعاة العامية) .. «أن الموضوع برمته يجب أن يترك للحياة، على أساس أنه مادام التعليم آخذاً في الانتشار والتوسع فمن الطبيعي إذن أن تقل استعمالات العامية» وإذا صحت هذه القضية في جزئها الأخير، فهي لا تصح في جزئها الأول. فمن غير المعقول أن يترك الحبل على الغارب لأي قيمة اجتماعية؛ ما دامت تضر بالمجتمع دون تدخل سلطة عليا توجه وترشد، بل تقوّم وتلزم إذا اقتضى الأمر. وإذا كان محو الأمية عزيزاً، فأعزّ منه إحياء لغتنا الفصحى، وتشجيع استعمالها في مجالات الحياة المختلفة، وإذا كان من الممكن فيما مضى أن يفسر شيوع اللهجات وغلبة عوامل التفريق على عوامل التجميع على أساس من صعوبة الاتصال، ووجود العوائق الطبيعية، فإنه لا يمكن أن يظل الأمر كذلك الآن بعد تطور وسائل الإعلام، وتقدم سبل الاتصال، وقد سبقتنا شعوب كثيرة واعية في هذا المضمار، فتدخلت الدولة على المستوى الرسمي بوسائلها المختلفة للقضاء على اللهجات العامية وتوحيدها في لغة فصحى مشتركة، ولم تعتمد على محو الأمية وحده ويعلل ذلك الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه "مستقبل اللغة المشتركة" بقوله : «لأن تجربة محو الأمية لم تبرهن على النجاح في معظم الحالات، فالطفل في المرحلة الأولى يتعلم كتابه بعض الجمل والكلمات ويستطيع قراءة بعض السطور، ولكن بعد أن يترك المدرسة لا يلبث أن ينسى ما تعلم، ولا يجد في حياته العامة حاجة ملحة إلى الاستفادة (بهذا) الذي تعلمه...»

«إن اللغة العربية الفصحى هي اللغة التي تصلح للبلاد الإسلامية والعربية للتخاطب والكتابة والتأليف، وإن من واجب الحكومات في هذه أن تعنى بنشرها بين الطبقات الشعبية لتقضي على اللهجات العامية التي لا تصلح كلغة أساسية لأمم تجمعها جامعة الدين والعادات والأخلاق»

9- وإذا كان الدكتور أنيس فريحة قد تمنى في (أحد) مُحالاته (عام 1955) : «أن يرى عاملاً عسكريا سياسياً يفرض اللغة العامية على العرب» فإني (أتمنى) - بعد أن لم يحقق الله أمنيته حتى الآن- أتمنى أن أرى حكام العرب جميعاً يتعاونون (في) فرض اللغة الفصحى على العرب، لا بقوة السلاح، وسلطان القانون، وإنما بأسلحة الإعلام المختلفة، وبتطوير وسائل تعليم اللغة، وإلزام الكتاب بتقديم أناشيدهم وأغانيهم ومسرحياتهم باللغة الفصحى، وبتشجيع عامة الشعب على التزام اللغة الفصحى في رسائلهم ومكاتباتهم، إذ لا ريب أن كثرة تردد النصوص الصحيحة على السمع، وحفظ الكثير منها، يكسب اللسان القدرة على التعبير الصحيح، ويساعد كثيراً على نشر اللغة التي ننْشدها بين جمهور المتعلمين، وبهذا يرتفع التناقض الذي أحس به المستشرق الألماني "فنت فور" حين لاحظ إطلاق الكتاب اسم لغة الشعب على العامية فقال : «كثر الحديث عن لغة الشعب ولغة المثقفين، وهذا غريب! لأن الشعب في كل البلاد العربية لا تجمعه عامية واحدة، وإنما العربية الفصحى».

10- وفي ختام مقالنا لا يفوتنا أن نشير إلى ملاحظة ذكية للمستشرق الألماني السابق الذكر، وذلك حين يقول عن اللغة الألمانية «ليس للمدافعين عن اللهجات وزن في الحياة الحديثة، وذلك لأن الناس في عصرنا الحديث، عصر الفضاء يعيشون بطريقة تختلف اختلافا كبيراً عن الحياة التي كانوا يعيشونها من قبل، فالاتصال الآن أوسع وأوثق، وحتى محاولات هتلر لإحياء اللهجات العامية عن طريق تعليمها في المدارس باءت بالفشل» وحين يقارن هذا الوضع بوضع اللغة العربية فيقول : «أما بالنسبة للبلدان العربية، أول ما نلاحظه هو وجود لهجات عديدة يستعملها الناس في التحدث دون اللغة الفصحى، الفصحى العربية لم تدخل جميع ميادين الحياة، والذي سهل بقاء العربية الفصحى بعيدة عن التداول، تداول الألمانية الفصحى أنه لم يبذل أي مجهود يذكر في تضييق شقة الخلاف بين العامية والفصحى».

كما نشير إلى قرار منصف أصدره المستشرقون في مؤتمر لهم عقدوه ببلاد اليونان، ولكن لم يصل مضمونه -مع الأسف- إلى أسماع أبنائنا المثقفين من العرب يقول القرار : «إن اللغة العربية الفصحى هي اللغة التي تصلح للبلاد الإسلامية والعربية للتخاطب والكتابة والتأليف، وإن من واجب الحكومات في هذه أن تعنى بنشرها بين الطبقات الشعبية لتقضي على اللهجات العامية التي لا تصلح كلغة أساسية لأمم تجمعها جامعة الدين والعادات والأخلاق» العربية الصحيحة ص 24 -26.

ملاحظة : قد يبدو ما يستوجب نوعا من التعليق على بعض العبارات التي استعملها المؤلف في هذه المقالات التي نعرضها، لكننا نؤجل ذلك إلى حين الانتهاء من عرض كل ما نراه مناسبا في هذا السياق إن شاء الله تعالى.

بعز عزيز أو بذل ذليل... (تتمة)

إن الإحصائيات التي نطالعها في وسائل الإعلام بين الفينة والأخرى تبين أن الهجوم على الإسلام ومحاولة تشويه سمعته لا تزيد غير المسلمين إلا رغبة في التعرف على الإسلام، فبعدما عرض فيلم "فتنة" للهولندي المتطرف جيرت فيلدرز، أعلنت صحيفة "دي تليجراف" الهولندية أن نتائجه جاءت على نقيض ما كان يهدف إليه؛ حيث أشهر ثلاثة هولنديين إسلامهم بمجرد انتهاء الفيلم، وهم يشاهدون العبارة التي يُختتم بها الفيلم والتي تقول: "أوقفوا أسلمة أوروبا".

ولقد أعلن الفاتيكان، بعد أربعة أيام فقط، من عرض الفيلم المسيء أن عدد المسلمين فاق الكاثوليك ليصير أتباعه الأكثر في العالم.

وأكد أن عدد الكاثوليك بالنسبة لسكان العالم بقي ثابتًا تقريبًا مقارنة بالمسلمين الذين يزداد عددهم يوما بعد يوم.

إنها الفرصة قد واتت المسلمين ليهبوا من سباتهم ويعضوا بالنواجذ على دينهم، فلقد سقطت كل الشعارات التي كان الغرب يدعيها ليوهمنا بها ولم تعد لهم أي مصداقية ولا شرعية، ولقد ثبت أن المسلمين هم الصادقون وأن من يدعون (الديمقراطية والحرية وحماية حقوق الإنسان هم الكاذبون ...).

إن الغرب الذي يعاني الآن من فراغ روحي محتاج إلى غزو من نوع آخر لا يملك تقنياته إلا المسلمون الصادقون، محتاج إلى أن نغزوه بأخلاقنا وبتفوقنا العلمي وانضباطنا العملي.

إن الغرب محتاج إلى إرهاب من نوع آخر لا يتقنه إلا المسلمون الرساليون، محتاج إلى أن نرهبه بالتوبة النصوح لرب العالمين، وهجر المعاصي والذنوب، والامتناع عن الرشوة والربا وأكل السحت ونهب المال العام والغيرة على الدين والوطن.

بِنَبْضِ القلب

وتلك الأيام نداولها بين الناس

الأيام دول، والتاريخ يتحرك وفق ناموس الكون، والتغيير حاصل مهما حاول الطغاة تحنيطه ووضعه في المتاحف.. تلك هي العبرة التي خرجت من رحم الأحداث والثورات العربية، ولم تستسغها الأنظمة البوليسية التي دأبت على تأليه الحاكم ورفعه إلى مقام النبوة... قبل خمس سنوات أو أقل لم يكن أكبر المتفائلين يحلم بزوال أنظمة دكتاتورية على شاكلة النظام التونسي والمصري والليبي، ولم يكن يحلم أن ينتفض أبناء الشام ضد نظام حزب البعث الذي ألغى إرادة الشعب لعقود عدة، أما اليمن فهو بلد الحراك المستمر منذ تأسيسه إلى حين انقسامه ثم التحامه... فهل تتحرك باقي الأنظمة في اتجاه الإصلاح وإعطاء أكبر قدر من الحرية لشعوبها وإشراكها في تسيير شؤونها؟!.. إن هذه الأنظمة الجبرية تعتبر نفسها غير مدينة لشعوبها بأي شيء... فهي لم تأت عبر صناديق الاقتراع، بل أتت على ظهر دبابة... ولن ترحل إلا على ظهرها، ولهذا فرأي الشارع لا يدخل ضمن أجندتها، لأن منطق القوة الذي أتى بها إلى السلطة هو الحاسم في كل شيء، لذا دأبت على إحاطة نفسها بسياج أمني رهيب، وأقامت المحاكم العسكرية للمدنيين، وزورت الانتخابات وقهرت المعارضة، وأقامت نظاما حديديا لا يرى منه للخارج إلا كما يرى جبل الجليد الذي يختفي أكثر من ثلثيه تحت الماء... وهذه الأنظمة أيضا أغلب رؤوسها من الجيش، والعسكريون في منطقهم : القوة أساس الحكم... لذلك لا نعجب حين نرى العقيد القذافي وهو لا يكاد يذهب لدورة المياه من دون حرس لاشتداد ضغط الثوار على نظامه، يرسل الخطاب تلو الخطاب مؤكدا أن جزءا كبيرا من الشعب يقف إلى جانبه، وأنه ما زال مستعدا للقتال حتى طرد فلول العملاء وتطهير ليبيا شبرا شبرا... إنه منطق يبعث على الشفقة والاحتقار في آن واحد...

فلتصح الأنظمة المستبدة فهذا زمن الشعوب التي سئمت من أن تبقى مجرد ديكور في قصور الحكام.

ذ. أحمد الأشهب

واحدة من النظريات العتيقة!

أ. د. عماد الدين خليل

"النظرية الحديثة للتطوّر الطارئ".. هذه واحدة من النظريات البائدة في تفسير الكون والعالم والحياة، بعيداً عن الله سبحانه وتعاليمه المنزلة من السماء..

تقول النظرية باختصار : أن خواص جديدة بصورة جذرية تبرز إلى الوجود في مراحل مختلفة من التعقّد الذي يصل إليه الكيان المادي. فالحياة والعقل كلاهما قد اعتبرا وفقاً لهذه النظرية خاصيتين طارئتين على مجاميع مادية معيّنة !!

في التفسير الإسلامي، والديني عموماً، تحلّ "الروح" المعادلة الصعبة.. تنصبّ على الدماغ، ذلك النسيج المعقد من الخلايا، فتمنحه القدرة على الإدراك، وتنصبّ على المادة، ذلك التركيب المتشابك من الذّرات فتمنحها الحياة.. ليس ثمة إشكال ولا تكّهنات وتخمينات وظنون، بمجرد أن تتيقّن نفوسنا بأن الله سبحانه خالق الكون والحياة والإنسان، هو وحده القادر على إحداث معجزة الفكر في خلايا الدماغ، ومعجزة الحياة في الذرات المادية، بإضافة سرّه المبدع العجيب : الروح. وبدون هذه الإضافة فإنه ليس بمقدور أية نظرية علمية أو فلسفية، على مدى ملايين السنين، أن تحلّ المعادلة ذات الحدّين. إذ أنها بإلغاء الحدّ الآخر: الروح، ستسعى عبثاً للبحث عن البديل، ولن يكون هذا البديل سوى سلسلة طويلة من العنت والإرهاق، وطريق طويل من الظنون والتخمينات والافتراضات والأماني: ﴿إن هي إلاّ أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان، إن يتبعون إلاّ الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾ ﴿تلك أمانيهم، قل: هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾.

أما ما الروح؟ وما سرّها المعجز؟ وما طرائق تعاملها مع الدماغ والمادة فإنها مسائل تستعصي على الإدراك البشري.. إن الدماغ لا يمكن أن ينشق على نفسه لكي يعاين نفسه ويعطينا الجواب.. والروح نفسها ما دامت فينا.. في لحمنا وأعصابنا وخلايانا ونسيجنا.. فإنها لا تستطيع أن تنفصل لكي تعاين طريقة عملها في الجسد.. ثم إن المسألة أولاً وأخيراً، لا تعني مهمة الإنسان في العالم، والأحرى أن يتجاوز الإنسان ذلك إلى البحث في صميم العالم وتركيبه للكشف عن سننه وقوانينه وللتحقق بالتقدم والإبداع في مجرى التاريخ.. من ثم فإننا بينما نجد في كتاب الله مئات الآيات التي تدعونا إلى فهم العالم والكشف عن سننه، لا نجد سوى آية واحدة تحكي لنا عن الروح سرّ الحياة والفكر، ومعجزة الخلق والإبداع : ﴿ويسألونك عن الروح، قل الروح من امر ربي وما أوتيتم من العلم إلاّ قليلاً﴾.

ولنرجع إلى "النظرية المادية للتطور الطارئ" كإحدى المحاولات الوضعية الجديدة لحلّ المعادلة والتي تقول بأن الحياة والعقل يعتبران خاصيتين طارئتين على مجاميع مادية معينة.. فإننا سنجد – كما يقول سوليفان- كيف أن المعرفة التامة بالعناصر المكونة لهذه المجاميع لا يمكنها أن تتيح لنا التنبؤ بأن اجتماع هذه العناصر سوف ينتج خاصيتي الحياة والعقل. ويمكن إيضاح الفكرة العامة المقصودة بالتمثيل لها عن طريق مركب من المركبات الكيمياوية. فالماء - على سبيل المثال - يتألف من هيدروجين وأوكسجين والسؤال هو: هل نستطيع عن طريق المعرفة التامة بخواص الهيدروجين والأوكسجين أن نتنبأ بخواص الماء؟ إننا نشير هنا إلى خواص الهيدروجين وخواص الأوكسجين كلاً على حدة. والجواب هو بالطبع أن العلم لا يستطيع أن يقدم لنا كشفاً بخواص الماء مستمد من المعرفة بخواص الهيدروجين وخواص الأوكسجين كلا على حدة.

ويحتمل أن يعزو معظم العلماء السبب في ذلك إلى أن معرفتنا بخواص الهيدروجين وخواص الأوكسجين غير مكتملة. أما نظرية التطور الطارئ فتقول بأن السبب هو أعمق من ذلك. إن خواص الماء ليست متضمنة أو محتواة في الهيدروجين والأوكسجين. إن ملاكاً لابثاً منذ الأزل يتأمل خواص الهيدروجين والأوكسجين كلاً على حدة لا يستطيع أن يقول بأن خواص الماء سوف تتجلى في اجتماعهما. وبنفس الطريقة يمكن القول بأن خواص الحياة تتجلى في مجاميع مادية معينة، لا يمكن الاستدلال عليها بأي قدر من المعرفة عن العناصر المكونة لها. والأمر نفسه ينطبق على التراكيب المادية والكيانات العضوية الأكثر تعقداً والتي تتجلى فيها الخواص العقلية.

إن العيب الذي تعاني منه النظرية المذكورة يتمثل في أنه لا يمكن إثباتها أبداً. ومن ناحية أخرى فإن إمكانية دحضها تظل قائمة، في ازدياد معرفتنا عن ذرات الهيدروجين والأوكسجين يمكن أن نصبح قادرين على الاستنتاج بأن خواص الماء يجب أن تظهر في اجتماع العنصرين السابقين وهذا سيؤدي إذن إلى دحض نظرية التطور الطارئ. ثم إن فشلنا في الوصول إلى ذلك الاستنتاج مهما تكرر لا يمكننا من إثبات تلك النظرية إنه يجعلها ممكنة فقط.

إن العلماء يقولون دائماً بأن العلم لم يكد يبدأ بعد. وإذا صح هذا، أو بعبارة أخرى، إذا كانت مبادئ وقوام علم الفيزياء قابلة لتطبيقات لا نهاية لها فإن نظرية التطور الطارئ تصبح في أحسن الحالات مجرد إمكانية وليست فرضية ناجعة. إنها تفترض أن معرفتنا بقوام الفيزياء والكيمياء هي معرفة مكتملة بالضرورة، ولذا فإن فشلنا في استنتاج خواص الخلايا الحية من خواص العناصر المكونة لها يجب اعتباره إشارة إلى انقطاع حقيقي في الاستمرارية في الطبيعة. وهكذا فإن وجود علم متصل بصورة كاملة هو أمر مستحيل بطبيعة الأشياء. إننا لن نصل مطلقاً إلى مجموعة من المفاهيم يمكن تفسير جميع الظواهر عن طريقها!!

بعز عزيز أو بذل ذليل....

عبد الحميد الرازي

خبر وتعليق

أوضح مراسل صحيفة "معاريف" في نيويورك "تساحي يوكد" في تقرير بمناسبة الذكرى العاشرة لأحداث الحادي عشر من شتمبر- أن السنوات العشر الأخيرة شهدت إقبالا كبيرا من قبل الأمريكيين على اعتناق الديانة الإسلامية. ووفق معطيات منتدى العلاقات الإسلامية الأمريكية فإن العام الأول بعد الهجوم شهد إقبالا كبيرا على اعتناق الديانة الإسلامية، وفي ذلك العام اعتنق أكثر من 34 ألف أمريكي الإسلام، وخلال العشر سنوات الماضية قدر عدد من اعتنقوا الإسلام في الولايات المتحدة بحوالي 20 ألف أمريكي سنويا، 80٪ منهم من النساء.

إنها البشرى التي أعلنها الحبيب المصطفى وكأني بها تمزق حجب الأزمان وأستارها وتحطم حواجز قرون قد خلت، فعن تميم الداري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل عزا يعز الله به الإسلام وذلا يذل الله به الكفر»(رواه أحمد) وكان تميم الداري يقول: قد عرفت ذلك في أهل بيتي لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز ولقد أصاب من كان منهم كافرا الذل والصغار والجزية.

ألسنا نسمع ونرى بملء الأسماع والأبصار دخول الإسلام إلى كثير من بيوت المعمورة، فدخلوا في الإسلام عن طواعية واقتناع، بل يمكن القول الآن: إن كل بيوت الدنيا سمعت بخبر هذا الدين العظيم، لأن ثورة المعلومات في عصر الأنترنت مكنتهم من التعرف على الإسلام وتعاليمه وسمحت لهم بالتعرف على شخصية الرسول ﷺ ومعجزاته وقدراته، بل إن الأنترنت سمح لشهادة (توماس كارليل) وهو يخاطب قومه وبني جلدته منذ حوالي قرنين من الزمان أن تعم الأصقاع وتنتشر في بلاد الغرب كلها حيث قال :

"من العار أن يصغي أي إنسان متمدن من أبناء هذا الجيل إلى وهم القائلين إن دين الإسلام كذب، وإن محمدا لم يكن على حق، لقد آن لنا أن نحارب هذه الادعاءات السخيفة المخجلة، فالرسالة التي دعا إليها هي التي ظلت سراجا منيرا اثنا عشر قرنا من الزمان".

كما أن توماس كارليل صاحب كتاب: (الأبطال وعبادة البطولة) قد قال :

"لقد أخرج الله عز وجل العرب بالإسلام من الظلمات إلى النور، وأحيا به أمة هامدة، وما كانت إلا فئة جوالة في الصحراء، خاملة فقيرة تجوب الفلوات، ومنذ بدأ العالم لا يسمع لها صوت ولا تحس منها حركة وبرسالة الإسلام استحال الخمول إلى شهرة والغموض إلى نباهة والضعف إلى القوة وإذا بالضوء الخافت قد أضحى نورا وهاجا يملأ الأنحاء ويعم العالم...".

تتمة ص : 15

بارقة

مجالات العمل لوجه الله كثيرة

أ.د. عبد السلام الهراس

ممَّا لا أنساه من ذكريات في بيروت أن جماعة من العمال وفيهم حمّالون في الميناء يستريحون يوم الأحد يخصصون هذه الاستراحة في الانتشار في القرى الإسلامية لتفقّد مساجدها إنشاءً وإصلاحاً، وتعليم القرآن الكريم تحفيظاً وتلاوة للصّغار والكِبار، وكان الحاج أحمد الخطيب وهو من أسرة كريمة من أبرز هؤلاء وكثيراً ما كنا نلتقي على غير موعد وكانت فرصة للتعاون وتمتين العلاقات بين هذه الجماعة الصالحة وبين دعاة جماعة عباد الرحمان بقيادة أبي عمر الداعوق رحمه الله وكان للأئمة ومنهم خطباء الجمعة مكانة ذات أهمية في لبنان.

واهتمام المسلمين في لبنان بالمساجد والمعاهد والتعليم العالي -كبير وقد وجدوا في مصر من المساندة والدعم لدرجة أن مصر أسست جامعة مصر العربية لتضاهي الجامعة الأمريكية والجامعة اللبنانية التي تعلم بالفرنسية ومنذ سنوات كتبتُ عن هذه الجامعة التي اضطلعت برسالة عظيمة في الميدان العربي والإسلامي إضافة إلى الجامعات السورية وا لمصرية التي تفتح مجالات واسعة وكثيرة أمام الطلبة اللبنانيين ولاسيما المسلمون.

إن الإنفاق على مجالات التعليم وطلب العلم من أهم ما يتقرب به المسلمون إلى ربهم، وتتحدد هذه المجالات حسب الحاجة إليها وقد سمعت أن نساءً صالحات من أسر غنية وذات شأن يتطوعن لغسل الموتى المسلمين ولا سيما الفقراء منهن مع التبرع عليهن والاهتمام بالأيتام.

إن نشر الوعي بخدمة الموتى الفقراء وكفالة الأيتام من الأولويات في المجتمعات الإسلامية المرتبطة بدينها ومجتمعها.